مسرحيات عالمية

فاوست كما أراه

تأليف: پول ڤاليرى
ترجمة وتقديم: عبد العاطى جلال



المسرح العالمى

سلسلة مسرحيات عالمية

تصدر بإشراف

لجنة المسرح العالمى

مقر الإدارة :

١٨ شارع حسين حجازى

بريد مجلس الأمة

القاهرة

مسرحيات عالمية

نصف شهرية

فاوست كما أراه

تأليف : پول ڤاليري
ترجمة وتقديم : عبد العاطى جلال

أقرتها لجنة المسرح العالمى

المسرح العالمى
هيئة الإذاعة والمسرح والموسيقى
الدار القومية للطباعة والنشر
الثقافة والإرشاد القومى



تأليف : پول ڤاليري
ترجمة وتقديم : عبد العاطي جلال

شكر وتنويه

اقتطع من وقته الثمين فى قراءة النص العربى لهذه المسرحية ، قبل أن تشق طريقها الى المطبعة ، نخبة من الاساتذة الافاضل ، اخص منهم بالذكر والشكر :

الاستاذ أحمد عباس صالح

الاستاذ عبد الحكيم سرور

الدكتور عبد العزيز الاهوانى

الدكتور محمد اسماعيل موافى

كما تفضل مشكورا وطابق النص العربى على الاصل الفرنسي حرفيا الزميل الاستاذ يحيى سعد .

عبد العاطى جلال

مقدمة

بقلم: عبد العاطي جلال

فاوست

فاوست ... فاوست ... فاوست . ما أن يتردد هذا الاسم حتى تتراءى للعين ذكرى رقصات مارجريت وبيرتا (١) ومارتا فى باليه فاوست ، وحتى تفيض فى السمع موسيقى فاجنر وليست وجونو . نعم .. فاوست ، تلك الشخصية الاسطورية التى شغلت أذهان المفكرين والفنانين لأنها تعبر عن مأساة الانسان فى حياته وما بعد موته ، وتفتح أمام الذهن آفاقاً متسعة للبحث ومحاولة الكشف عن الأسرار المغلقة التى يقف العقل أمامها فى النهاية حائراً عاجزاً .

لقد كانت خرافة فاوست خرافة عتيقة قبل أن تتبلور فى الحكايات التى اجتمعت حول شخصية رجل يقال له الدكتور جوهان فاوست من وتمبرج بألمانيا فى أوائل القرن السادس عشر . ويبدو أن هذا الرجل كان ساحراً عرافا ومنجماً ذكياً يدعى لنفسه استحضار الأرواح واستعادة المخطوطات الضائعة التى ألفها الكتاب القدامى . وانتهى الأمر بهذا الرجل إلى أن باع نفسه للشيطان

---

(١) فاوست : باليه من ثلاثة فصول وضع موسيقاه بانيتزا وصمم رقصاته جول بيروت .

واختفى عن الأعين إلى غير رجعة فى ظروف غامضة . ومنذ ذلك الوقت بدأت تظهر عنه وعن تلميذه كرستوفر فاجنر حكايات تلقفتها ألمانيا وانجلترا فى نهاية القرن السادس عشر دون أن يعرف مصدر مؤلفيها وظهرت أول قصة منشورة عن هذا الرجل فى انجلترا سنة ١٥٩٢ ، ويبدو أن مارلو الكاتب الدرامى الانجليزى اعتمد عليها اعتماداً كلياً فى كتابة مسرحيته بهذا الإسم . غير أن أعظم عمل درامى لهذه القصة يعتد به هو مسرحية فاوست الشعرية التى كتبها جيته (١٧٤٩ — ١٨٢٢) فى جزأين ، ظهر الجزء الأول منها فى سنة ١٨٠٨ ، فأهدى جيته بهذا العمل الأدبى إلى عالم بداية القرن التاسع عشر أعظم مأساة شعرية عرفها عصر الخيال والحب والحرية والانطلاق ؛ عصر بايرون وشيلي وشاتوبريان وشيلر وهاينى وشوبنهاور وأخيراً عصر بيتهوفن العظيم : ظهرت فاوست سنة ١٨٠٨ بذلك (٢) الحوار الذى يدور بين الخالق جل شأنه وميفيستوفيليس الشيطان فى السماء ، وهى مقدمة تتضمن طبيعة ذلك الصراع الأزلى بين الخير والشر وقضية الجبرية والاختيار والقدرية ، وما إذا كان من حق فاوست الذى يمثل روح الانسان أن يترك نفسه ينقاد إلى الشيطان ، روح الشر أم يترك الأمر فى هذا إلى الله وحده يصرفه حسب مشيئته .

ميفيستوفيليس : إله الأرض لا يزال هو هو منذ أول الخليقة يؤدى دوره بشكل مرضى ... لكن كثيراً مالا يحسن استخدام هذا القبس المقدس الذى يسميه العقل والذى أصبحت فائدته الوحيدة عنده إضافة شرور إلى شروره والتحقير من شأنك وتشبيهك بأحط الحيوانات .. وهو فى نظرى يشبه — مع احترامى الشديد لعظمتك — تلك الحشرات

Goethe : Théâtre complét (Bib. de la Pléade) (1)

الطويلة السيقان التى تنتقل من مزرعة إلى مزرعة ومن غابة إلى غابة تؤدى دائماً نفس الرقصة وتغنى نفس الأغنية ... ره .. ما أشبهه بهذه الحيوانات ... يريد وجه كل شيء ماعدا وجهك .. وفضلا عن ذلك يزج بأنفه فى كل ماهو مقزز .

الخالق : أليس لديك شيء آخر تقوله لى ؟ .. ألا تأتى هنا إلا لكى تغتاب .. ؟ ثم ألا يوجد أبداً غير الشر فى الأرض !؟

ميفيستوفيليس : نعم يا إلهى .. كل شيء على الأرض يسير من سيء إلى أسوأ .. وخلقك أصبحوا اليوم فى نهاية البؤس ... إن ضميرى ليؤنبنى على تعذيب هؤلاء البؤساء .

الخالق : هل تعرف فاوست ؟

ميفيستوفيليس : الدكتور ؟

الخالق : إنه عبدى .

ميفيستوفيليس : نعم .. إنه يخدمك فى الحقيقة بطريقة عجيبة . لا يشتم فيه أى شيء دنيوى ، لا أفعاله ولا أبحاثه ... وروحه دائماً تسبح فى عالم وهمى ... يدعى بأنه أتخم من ملاذ الأرض ويرغب فى هتك حجب السماء والطبيعة . لا شيء على الأرض يشبع رغباته ..

الخالق : على الرغم من أنه مشوش بهذا الشكل ، فإنه لايزال يؤمن بى ... وفى استطاعتى أن أمنحه السعادة التى يرجوها .. إذ فى الشجرة التى تبدأ فى الاخضوضار ،

يرى البستانى الحكيم ورود سنوات السعادة المقبلة وثمارها .

ميفيستوفيليس : أراهنك سوف تفقده مادمت تعده من الصالحين .. لكن كيف ومتى ، دع هذا لى واعطنى حرية التصرف .

الخالق : نعم .. أرغب جيداً فى تركه لك طوال حياته .

ميفيستوفيليس : حمدا لك .. أنا على أية حال لا أحب التعامل مع الأموات .. الانسان الحى هو شغلى الشاغل الوحيد .. أنا كالقط أحب صيدى حياً لا ميتاً ...

الخالق : عظيم .. تستطيع أن تتدبر أمرك .. قده إلى سجن تهذيبك وتأديبك .. انزع هذه الروح من ينبوعها العلوى (١) .. لكن لو أضعت الصفقة ، فليحمر وجهك خجلا وأنت ترى رجلا استطاع أن يسلك الطريق القويم بعد ضلالة .

ميفيستوفيليس : أنا لا أخشى من ضياع رهانى ... ولو استطعت فى النهاية اغراءه فلابد أن أفخر بانتصارى ...وليزدرد ابن آدم التراب مثل ابن عمى الثعبان (٢) ..

الخالق : اذهب يابنى نفذ مهمتك .. ان كراهيتى لك أقل من كراهيتى لبقية الشياطين .. ان نشاط الانسان معرض للتوقف ، ولكى أحفزه فانى فى حاجة الى عنايتك .. ان عظمتكم يا أبناء السماء من عظمتى ... اذهبوا بفضل

---

(١) يقصد ماهو متصل بالله عز وجل فى الانسان ، وهو فى اعتقادى يقصد الروح هنـــا .

(٢) الثعبان هو مضلل آدم وحواء فى الفردوس ، فلا غرابة أن يكون بينه وبين الشيطان أواصر قربى .

هذه العظمة واستمتعوا مع بعضكم .. فالله الذى خلقكم
يحبكم دائما ... احتفلوا بفضل افكاركم بكثير من العجائب
المكدسة التى حباكم الله بها .

ان ميفيستوفيليس يعترف بانه « الروح التى تنكر ولا تؤمن أبدا » لكنه كجزء من القوى التى ترتكب الشر يخلق فى الوقت نفسه الخير . وهذا يذكرنا بان جيته فى شبابه خاصم الزنادقة لانه لم يوافقهم على اعتناق مبادىء وآراء من شأنها ان تهدد طبيعة الوجود الانسانى ، رغم ان جيته لم يترك لذة من ملاذ الارض الا وعب منها . وكان زير نساء لا يشق له غبار حتى ان اندريه جيد فى مقدمته التى صدر بها مجموعة اعماله الادبية التى نقلها الى اللغة الفرنسية جماعة من اعظم الادباء والمترجمين نذكر منهم بوجه خاص جيرار دى نرفال ، يقول ان سر عبقريته يكمن فى اتصاله بالنساء والاستمتاع بجمالهن . كان ينتقل من امرأة الى امرأة ومن فتاة الى أخرى حتى أنه لم يتورع عن الاقتران بفتاة ريفية كانت تعمل فى حان . وان مجرد استعراض قائمة هؤلاء النسوة اللاتى تزخر باسمائهن حياة جيته يدل على شغف هذا الرجل بهن ، لدرجة ان علاقاته هذه الفت فيها كتب عدة . ومع هذا فان حوادث هذه المغامرات العاطفية لم تقصم ظهره ، بل ازدهر بها عقله . وقد سادت فاوست وجهة النظرة المتفائلة التى لها دون شك اتصال وثيق بالنظريات اللاهوتية التقليدية والتى تقول بأن رغبة الروح التى لاتشبعها لذة ما هى الا استغاثة برحمة الله . ولهذا نجد أن فاوست بعد يأسه من ظهور روح الارض حاول الانتحار ، لكن دقات الاجراس وانشاد نشيد صباح يوم عيد الفصح ذكره بايمان طفولته الذى أوحى اليه بالقاء السم .

والجزء الثانى من فاوست فلسفى عميق لا يهم الا الذين يعنون بتتبع أفكار

جيته ورموزه . فمثلا نجد أن جيته يرمز الى التحام العقلية الالمانية بالاغريقية فى تزويجه فاوست من هيلين (١) أجمل بنات عصرها وانجابهما طفلا اسمه يوفوريون الذى يرمز بدوره الى ولادة الشعر الحديث بشطحاته التى كان يعد بايرون ابلغ نموذج لها فى نظر جيته .

لقد أراد جيته من معالجته لخرافة فاوست أن يتخذها اداة لمسرحية الانفعالات المنبعثة من الرغبات المتصارعة فى النفس الانسانية من حيث عزوفها عن الحياة أو التمسك باهدابها . وقطب الرحى التى تدور حوله هذه المأساة هو أنه يجب على الانسان أن يكون له من الشجاعة مايواجه به الحياة بوصفها مغامرة من المغامرات وأن يطلق فيها جميع إمكانياته كاملة لكى يتطور تطورا كاملا . ولنا من حياة جيته أعظم مثل على هذا الانطلاق .

كان جيته هو الشاعر الدرامى الثانى الذى استغل هذه القصة ليبنى عليها عملا دراميا متكاملا . فقد سبقه الى ذلك بما يقرب من مائتى سنة أو تزيد شاب انجليزى جرىء غريب الاطوار يدعى مارلو كانت له سلسلة من المغامرات أودت آخر الأمر بحياته . ان معرفتنا للمواهب التى ازدهرت فى العصر الإليزبى الذى كان مارلو هذا ثمرة من ثمراته لا تزال قاصرة حتى الآن رغم الدراسات التى حاول فيها كاتبوها القاء الضوء على تلك الفترة الخصيبة التى كان من ثمارها أيضا شكسبير وكيد (٢) وجرين وناش وليلى وشابمان وبيل ولودج ومارلو آخر الامر . هؤلاء السبعة الذين أثروا

---

(١) هى هيلين الجميلة اليونانية زوجة مينيلاس التى اختطفها باريس وكانت سببا فى قيام حرب طروادة بين الطرواديين والاغريق .

(٢) Shakespear, Kyd, Greene, Nash, Lyly, Chapman, Peele, Marlowe.

الحقل الدرامى بانتاجهم الذى لم يصلنا منه غير النذر اليسير اذا استثنينا شكسبير العظيم . وتاريخ حياة مارلو بوجه خاص والذى اعتراه التبديل والتغيير الى أن أستقر ووضح فى النهاية ، يلقى ضوءا على ذلك العصر ، عصر القرن السادس عشر فى التاريخ الانجليزى.

فى اليوم الاول من شهر يونيه سنة ١٥٩٣ استدعى قاضى الضبطية الانجليزى Danby ستة عشر عضوا للانعقاد فى هيئة محلفين فى ديبتفورد Deptford قريبا من جرينويتش Greenwich كى يحققوا فى مقتل كريستوفر مارلو الذى قتله فرانسيس فرايزر Francis Friser واسمه الحقيقى إنجرام Ingram وقد وجد مارلو مقتولا فى اليوم السابق فى إحدى الحانات بطعنة خنجر نفذت الى جمجمته فوق العين اليمنى . ولم يكن جرحه نافذا بقدر كاف ، غير أن موته كان فوريا . وقد ثبت أن مارلو وفرايزر ومعهما اثنان من الزملاء تشاجروا مع بعضهم على من يدفع الحساب بعد أن تناولوا طعام غدائهم دون أن يكون قد وصل أحدهم الى درجة السكر . فما لبث فرايزر أن انتزع خنجر مارلو الذى استفزه وطعنه تلك الطعنة النجلاء التى أودت بحياته . ومن الغريب أن ينتهى التحقيق فى هذه القضية بأن فرايزر حينما طعن مارلو كان فى حالة دفاع شرعى عن النفس . كانت سن مارلو حينما توفى التاسعة والعشرين ، وكان فى هذه السن من أكبر الكتاب الدراميين الانجليز فى تلك الفترة . ان كثيرا من تفاصيل هذه القضية التى تبدو بسيطة جدا لغير المتأمل لا تزال غامضة أو مشوهة ، لان محضر التحقيق الذى لم يكتشف الا فى عام ١٩٥٢ أى بعد ثلاثمائة واثنتين وثلاثين سنة من مقتله لم يكن واضحا . كما ان بعض ماورد فيه يحتمل كثيرا من التأويل . وعلى أية حال فان هذه الوثيقة تلقى ضوءا كاشفا على بعض جوانب

الحياة فى عصر النهضة الاليزبية . لقد كان من بين الثلاثة الذين أكلوا مع مارلو واحد يدعى روبرت بولى (١) يعمل جاسوسا وينتمى الى ادارة المخابرات التى يديرها الوزير سير فرانسيس (٢) ولسنجهام . وقد قام باعمال هامة ومريبة فى مناسبات عدة وكان من عادته اصدار احكام خاطئة لاتستند الى الصحة . أما سكيرز (٣) وفرايزر الآخران فقد كانا شخصين منحرفين غير جديرين بالثقة . حقيقة أن مارلو كان عضوا فى جهاز المخابرات السرية ذاك ، لكن ماذا عن ماضيه ؟

ولد كريستوفر مارلو فى كانتربرى عام ١٥٦٤ من أب حذاء يحترمه أهل بلدته . لكننا لا نعرف شيئا عن طفولته . أما فترة صباه منذ بلوغه الخامسة عشرة من العمر فمعروفة اثبتها مؤرخو تاريخ أدب تلك الفترة . فى تلك السن التحق بكلية كوريوس (٤) كريستى فى كامبردج ، اتاحت له الالتحاق بها منحة مالية للدراسة ، تمهيدا لالحاقه بالكنيسة . غير أن نبوغ مارلو أهله للالتحاق بالجامعة خاصة بعد تبحره فى الاعمال الادبية الكلاسيكية وانشائه قصائد من عيون الشعر . فقد ترجم قصائد أوفيد (٥) وجزء امن

---

(١) Robert Poley.

(٢) Sir Francis Walsingham Skeers.

(٣) Skeers.

(٤) Corpus Christi.

(٥) Publius Ovidius Naso « ٤٣ق‌م — ١٦م » شاعر لاتينى ولد فى سلمونس مؤلف التحول وفن الحب ، اشتهر بعذوبة شعره ووضوحه ، وكان صديقا لفرجيل وهوراس واستظل ثلاثتهم بظل الامبراطور اغسطس الرومانى . ولكن هذه الرعاية لم تستمر حتى النهاية ، اذ نفى أوفيد فى سنة ٩ ميلادية لسبب غير معروف الى تومى « كونستانزا حاليا » حيث توفى .

ملحمة لوكان (١) فى فترة تزاوجت فيها الثقافات القديمة وامتزجت برومانسية الروج الانجليزية المتطورة . وهكذا اصبح مارلو كغيره من الكتاب المعاصرين ، فيما عدا شكسبير ، إنسانيا مختذيا بزاد من أوفيد وفيرجيل وغيرهما من الشعراء القدامى . وفى الوقت الذى كان فيه مارلو يعد العدة للحصول على الليسانس ، ظهرت أمامه بعض الصعوبات التى أثارتها السلطات الجامعية ، وهى ان الطالب الذى كان مفروضا فيه البقاء دائما فى كامبردج تغيب عن الدراسة عدة اشهر . غير أن سلطة أعلى من سلطة الجامعة وهو المجلس الخاص للتاج البريطانى تدخل فى المسألة الى جانب مارلو وتوسط له لدى الجامعة كى تمنحه الليسانس ذاكرا انه ، أى مارلو « كان فى كل أعماله مثال الرزانة والحذر وقدم خدمات جليلة لجلالتها ويستحق مكافأة على هذه الخدمات » .

ما هى اذن تلك الخدمات ؟

فى سنة ١٥٨٧ أصدر البابا قرارا يقضى بحرمان الملكة اليزابيث من رحمة الكنيسة فدبر الجيزويت عدة مؤامرات لاغتيالها . ولما كانت مارى ستيوارت فى ذلك الوقت سجينة فى انجلترا ، فقد كانت على علم بهذه المؤامرات ، بل شاركت فيها باستهتار كانت نتيجته تلك الميتة الشنعاء التى ماتتها حينما حكم عليها بالاعدام . اذن كانت الملكة اليزابيث تواجه موتا مؤكدا وكان ولسينجهام السالف الذكر يبذل أقصى الجهد كى يحول بين هذه الميتة وبين الملكة . ولما كان مارلو احد الملحقين بخدمته فقد عهد اليه بجمع المعلومات

---

(١) Lucain « ٣٩ – ٦٥م » شـــــاعر لاتينى ولد فى كوردو ، وهـــو ابن أخ سينيكا الفيلسوف . ومن أهم اعماله الادبية تلك الملحمة التى تصف الصراع بين بومبى ويوليوس قيصر والتى سميت باسم فارســـال Pharsal تلك الموقعة التى هزم فيها بومبى فى تساليا ببلاد اليونان القديمة سنة ٤٨ق.م

الخاصة مما يدور فى أروقة كلية ريمز (١) حيث كون الجيزويت لهم فدائيين مدربين . فسافر مارلو الى فرنسا والى ايطاليا أيضا حيث استغرقت مهمته عدة اشهر بعث خلالها بتقارير كان لها فضل فى انقاذ رأس الملكة . وهذه الغيبة هى التى أخذتها عليه الجامعة حينما تقدم لنيل الليسانس . ويحتمل أن مارلو تعلم اللغتين الفرنسية والايطالية فى موطنيهما الاصليين نظرا لما كانت تتضمنه كتاباته من نصوص وعبارات بهاتين اللغتين . ومن الاكيد أيضا أنه تعرف فى تلك الفترة على بعض المخبرين السريين الذين كان يلتقى بهم من وقت لآخر اثناء حياته ويوم موته .

وبمجرد أن حصل مارلو على الليسانس ، سافر الى لندن حيث لمع اسمه وهو لايزال فى الثالثة والعشرين من عمره . وفى لندن قدمت له أول مأساة شعرية تصويرية اسمها تامبورلين ذات مشاهد مفزعة تكاد تلحقها بالميلودراما لولا شاعرية نصها وسمو اسلوبها وسمو الفاظها وعاطفيتها . وكان مارلو أول شاعر درامى انجليزى استخدم الشعر المرسل بلاقافية ويتألف الشطر فيه من عشرة مقاطع فى هذه المأساة . وقد استخدم هذا الشعر فى خمسة فصول دون تخاذل أو ضعف ، بل زاد على ذلك أنه استخدم هذه الطريقة فى عشرة فصول حينما أضاف اليها، بعد النجاح الذى استقبلها به الجمهور ، جزءا لا يقل فى سموه عن سابقه . وقد كان هذا الشعر شفيعا له فى مأساة ذات حبكة تسير على وتيرة واحدة وتؤدى احداثها نماذج بشرية مفزعة .

ثم فجأة نجد مارلو رهين سجن نيوجيت متهما مع شاعر نابغ آخر اسمه توماس واطسون بمقتل رجل فى شجار كان مارلو فيه هدف ذلك الرجل .

---

(١) Reims.

غير أن واطسون قتل المتهجم . واطلق سراح مارلو بعد خمسة عشر يوما وأسفرت القضية عن براءة واطسون الذى اعتبر فى حالة دفاع شرعى عن النفس . كل هذا يبدو شاذا وغريبا من فئة مثقفة بلغت أوج مجدها ، لكنه ليس بغريب أو شاذ فى تلك الفترة . وأعجب من هذا كله أن مارلو، كى يشغل نفسه أثناء اقامته فى السجن،اختلط بجماعة من المزيفين علموه فنون تزييف النقود .

وعلى أية حال فبعد أن حصل مارلو على حريته وخرج من السجن ، استأنف نشاطه الدرامى فقدمت له على المسرح ، مسرحية يهودى مالطة ومذبحة باريس . والثانية مسرحية تاريخية معاصرة ترتكز احداثها على فكرة مقتل هنرى الثالث فى مذبحه سانت بارتلمى فى باريس ، ثم أردف هذه المسرحية بمسرحية أدوارد الثانى وأخيرا الدكتور فاوستوس . وكل هذه المسرحيات كتبت مابين سنتى ١٥٩٢ و ١٥٩٣ ، وتحمل نفس المزايا والمآخذ التى تحملها مسرحية تامبورلين حيث يختلط التاريخ بالسحر بالفزع بالشعر .

لقد حصل مارلو على النجاح الكبير ، لكن حياته كانت ذات مناح شتى فرضها ذلك العصر الاليزبى الغامض المتعدد الثقافات والمعتقدات . فمركز انجلترا السياسى كان لا يزال مزعزعا فى مواجهة دولة كأسبانيا رغم العاصفة الهوجاء التى أطاحت باسطول الارمادا الذى وجهته اسبانيا لضرب انجلترا انتقاما منها لمقتل مارى ستيوارت وللاطاحة بعرش الملكة اليزابيث . وكانت تلك الملكة ذاتها قد تقدمت فى السن واتسمت سياستها بالتخبط . عصر قلق مضطرب بات فيه ذلك المزيج الفكرى موضع جدل ونقاش ، بل كثيرا ما أسلم الجدل حول القضايا الدينية الناس الى اليأس

أو الثورة ، فانتشرت الزندقة ومذاهب العقل ووظيفته الى غير ذلك من المذاهب والمعتقدات التي افرخت وتكاثرت في ذلك الجو الملبد بسحب الفكر .
ومن ابرز المدارس الفكرية التي ظهرت آنذاك، تلك المدرسة الليلية التي كان من أهم مؤسسيها سير والتر (١) رالي الشاعر والجندى المكتشف ، وأحب رجال بلاط الملكة اليزابيث اليها . كان رالى هذا منكرا لا يؤمن بالدين تتلمذ على آراء ميكيافيللي التي كانت تقليعة العصر في ذلك الوقت مرتبطا بهذه الآراء مع ميكيافيليين مثله من علية القوم ومثقفيهم نذكر منهم سير فيليب سيدنى دوق نورثامبرلاند(٢) والمركيز دى كاستيلينو (٣) سفير فرنسا وجيوردانو برونو والعالم الرياضى هاريو . كما كانت تضم هذه المدرسة زمرة من الشعراء نذكر منهم جرين وشابمان ومارلو . واعتقد الناس ان تلك المدرسة بؤرة تنفث سموم الزندقة والالحاد ، وان مارلو التي ذات يوم محاضرة عن الزندقة فى شير بورن (٤) ، قصر رالى . وكانت نتيجة ذلك أن حامت شكوك السلطات حول مارلو قوية ، وانبرت اصابع الاتهام تشير اليه . أضف الى كل هذا انه أصبح نجما لامعا فى التأليف الدرامى وهجر الى الابد حياة الفاقة والعوز ، مما أثار حفائظ أقرانه الذين لا يزالون يواجهون مصاعب مالية لاتنتهى . فبدأوا يكيلون له التهم جزافا . وثمة ظاهرة اخرى فى حياة مارلو كانت تعد نقيصة فى ذلك العصر، ألا وهى أنه أدمن التبغ الذى كان يجلبه رالى من خارج انجلترا . كما عرف عنه ميله الشاذ الى الصبية .

وهكذا اتاح مارلو فرصة ثمينة للحاقدين والشانئين والمنكرين لسلوكه ،

(١) Sir Walter Raleigh.
(٢) Northhumberland.
(٣) Castelnaw.
(٤) Sherborne.

وأصبح قاب قوسين من الوقوع فى قبضة العدالة . ومن أهم مايذكر فى صدد الحاقدين أن روبرت جرين الشاعر الرقيق البوهيمى نشر كتابا قبيل وفاته يعد وثيقة تاريخية لتلك الفترة ، وفى الوقت نفسه اعترافا بندمه وتوبته ، يتهم فيه أصدقاءه بعدم الوفاء والخطة والنذالة دون أن يخلو هذا الكتاب من نقد لسلوك مارلو ، لكنه نقد منصف يشهد كاتبه فيه بعبقريته . وانهالت سهام الاتهام على مارلو حتى من أعز اصدقائه ، اذ اتخنه بالجراح ريتشارد بينز وتوماس كيد اللذان كان نقدهما له ذاتيا مدبرا ، مما أدى فى النهاية الى استدعاء مارلو امام السلطة القضائية كى يجيب على عدة اتهامات أهمها الكفر والزندقة والشذوذ الجنسى . ولم يتردد مارلو لحظة فى التقدم للدفاع عن نفسه لما فطر عليه من شجاعة واستخفاف بالمخاطر ولا مبالاة تصل أحيانا الى حد الهوس . وأسفر التحقيق عن ابراء ساحة مارلو مما نسب اليه من تهم ، واكتفى المحققون بنصحه والاقلاع عن ارتكاب الرذائل واتباع طريق الحق والهدى والعدل . وطبيعى ان هذا النصح يعنى اقتناع المسئولين بانه من السادرين فى الغي والضلالة رغم هذا القانون الذى ابرأت نصوصه ساحته . وبعد هذه المحاكمة ببضعة أيام أى فى ٣٠ مايو سنة ١٥٩٣ قتل مارلو تلك القتلة الشنعاء التى اسلفنا الحديث عنها . وقد اختلفت الآراء حول مقتله هذا ، وتعددت الروايات . فمن قائل بان مارلو قتل غيلة مع سبق وترصد أحكم تدبيره . ومن قائل بان رالى أراد التخلص منه كمؤاكل ومشارب ومنادم ومشاطر له فى اللذائذ المحرمة كى لا يكون شاهد اثبات حينما تدور عليه الدائرة . وعلى الرغم من كل هذه الروايات فان ميتة مارلو لاتزال يكتنفها الغموض حتى يومنا هذا . ومن يعلم فرب قصاصة ورق تكشف ذات يوم عن سبب مقتله مثل محضر التحقيق الذى أشرنا اليه آنفا ...!

لقد عرف مارلو شكسبير دون شك بدليل أنه اراد تبجيله والاعتراف

بفضله فى مسرحيته « كما يروقك » فى المشهد الذى تقول فيه فوب (١) وكأنها تخاطب روح مارلو « أيها الراعى الغائب ... لقد اكتشفت الآن أن نظرتك ذات قوة قاهرة » .

فاوست مارلو

ومسرحية فاوست التى كتبها مارلو ذات بداية ونهاية مدهشتين ، غير أن مابينهما يبدو كئيبا وكأنه لم يكتب بيد مارلو ، بل أن أحدا غيره كتبه . اذ مما لا شك فيه ان مارلو عاون فى كتابة مسرحيات غير مسرحياته كما فعل فى مسرحية (٢) هنرى الرابع لشكسبير . وحجتنا فى هذا ان الانتاج الدرامى للعصر الاليزبى يصعب القطع فيه برأى . وشخصيات مارلو لكونها أكبر من الطبيعة وغير انسانية وبدائية تبدو دائما شخصيات مجردة عن انها كائنات حية . فهى خالية من التلوين ، يعبر حوارها عن النزعات الجائشة فى صدر المؤلف ومفهومه لمعنى الجمال وقيمته . كما يبدو مارلو فى هذه المسرحية منتشيا باستعادة ذكريات غالية ، يلهب شعره التعطش للقوة والمعرفة والحب وكل ما كان يكتنف ذلك الماضى من عظمة . من اجل هذا استطاعت ارادة الاحساس بكل شيء والتعبير عن كل شيء وتحقيق كل شيء حتى ،ولو أدى الى الفضيحة ، أن تنفذ الى اعماله الدرامية الغريبة . وقد برزت رغبته فى استعادة الذكريات الغالية تلك فى «استعادة شبح هيلين طرواده ذات الجمال الصارخ» ،واثارته الى هوميروس والاسكندر الاكبر . وشخصية فاوست هنا شخصية مادية لاتتورع عن الانغماس فى الملذات حتى بعالم الروح كأن يلطم البابا على وجهه ،ويصر على التأكد من شخصية هيلين

(١) Phoebe.

(٢) Claire-Ehane Engel : Lettres francaise No. 1905.

بتلك الشامة التي كانت في قفاها ، ثم تلك القسوة التي قطع بها الشياطين جسد فاوست بعكس ماسيفعله جيته فيما بعد حينما يتسلم الملائكة روحه ويتركون جسده يحمله الشياطين سليما لاجرح فيه بين ترنيمات الملائكة وترحماتهم عليه . والسبب في هذا يرجع الا ان العصر الاليزبي (١) تميز ببشاعة الانتقام وسفك الدم،لانه بالكاد تخلص من غياهب العصور الوسطى التي شهدت أكبر حمامات الدم والنزاع الديني والطبقي العنيفين . أما جيته فقد كتب مسرحيته في أزهى عصور الفكر واخصبها واميلها الى الحب والنزوع الى الاكتشاف والمعرفة تؤازره في ذلك أصداء موسيقى بيتهوفن ودرر بيرون وشيلر الشعرية . وفي العصور الوسطى أيضا وبداية عصر النهضة ذاعت خرافات السحر واعتبر الساحر خادما للشيطان يسلمه روحه بعقد يتنازل فيه الساحر عن روحه مقابل انجاز رغباته الدنيوية وطموحه ، لدرجة أن بعض البابوات والقساوسة كانوا يبيعون أرواحهم لذلك الشيطان،رغبة في البابوية أواشباعا لمتعة دنيوية . لقد بدا في فاوست مارلو رغبة هذا الاخير في تحقيق المستحيلات فوقعت المأساة لمحاولة البطل الكفاح الذى لا طائل تحته ضد القوى الروحية . ومن هنا كان كل هم الدراما الاخلاقية التي تمخضت عنها الدراما الدينية هو البحث في كنه الانسان والطبيعة وتجسيد الشرور والفضائل كالصداقة والسعادة والحب والمرح والشهوة والجشع ، تلك القيم الفطرية التي تسيطر على روح الانسان . ويعزى الفضل في الانتعاش الادبي والفني الذى تميز به العصر الاليزبي الى النهضة التي بدأت في ايطاليا ثم انتشرت في أوروبا وما تلا ذلك من تحرير للفكر الذى انسلخ عن المفاهيم الدينية للعصور الوسطى . وبرز الى الوجود انسان العصر الرومانسي باكتشافاته العلمية والجغرافية .

---

(١) اختصار لكلمة الاليزابيثي الثقيلة النطق .

لهذا اعتبر مارلو أصدق معبر عن عصره لايمانه بقوى الانسان . وهو يشبه الى حد كبير بطله فاوست الذى ولد مثله فى بيئة فقيرة ثم ارتقى السلم الاجتماعى بذكائه وشغفه بالعلم وايمانه بان المعرفة فى حد ذاتها هدف .

فاوست بول فاليرى

واذا كنا قد عرضنا فى اختصار الى فاوست جيته ثم فاوست مارلو وقلنا ان الاولى تعبر تعبيرا صادقا عن العصر الرومانسي والثانية تعبر تعبيرا صادقا عن العصر الاليزبى ، فان فاوست فاليرى تعبر ايضا تعبيرا صادقا عن عصرنا الحديث ؛ عصر القلق والحربين العالميتين والايمان بان الانسان عدم .. عصر كامى وسارتر وبيكيت ولامعقوليته . واخيرا عصر بول فاليرى الشاعر الآسى لمأساة الانسان الباكى عليه ، الحافز له على العمل والدأب فى سبيل الانسان ذاته .

فقد جاء الى هذا العالم فى ٣٠ اكتوبر سنة ١٨٧١ بمدينة سيت على البحر الابيض طفل يدعى امبرواز (١) بول توسا جول واسم والده فاليرى ، ولد فى باسيا وأمه جراسى (٢) ولدت فى تريستا ، ثلاثة موان تطل على البحر الابيض بشكل أو بآخر وتختلف أجواؤها ولهجات سكانها ولون سمائها . كل هذا يعطينا فكرة بان بول فاليرى يستحق ان نطلق عليه شاعر الوضوح . ولما شب الطفل الحقه أبوه بمدرسة الليسية ثم كلية الحقوق فى مونبلييه . وفى سن العشرين انتقل الى باريس حيث قدمه صديقه بيير لوى (٣) الى الشاعر مالارميه (٤) وتتلمذ على يديه ، وبدأ ينشر أشعارا رمزية فى صحف طليعة

---

(١) Ambroise-Paul-Toussaint-Jules.

(٢) Grassi.

(٣) Pièrre Louys.

(٤) ستيفان مالارمى Mallarmé شاعر فرنسى ولد فى باريس « ١٨٤٢ — ١٨٩٨ » وهو أحد أنصار المذهب الرمزى فى الشعر .

ذلك الوقت مثل صحيفتي كونك (١) وسيرانكس (٢) . لكنه لم يلبث أن ادرك أن الشعر في حد ذاته ليس هدفا . ونظر اليه على انه بهذه الكيفية ليس الا شكلا كغيره من الاشكال الادبية الاخرى للطاقة الروحية والعقلية للشاعر أو الاديب . ورأى أنه لكي يؤتي الشعر ثمرته لابد ان يوجه الشاعر هذه الطاقة الى هدفها الاساسي وأن يدرك قيمتها الأصلية ادراكا تاما كي تصبح بفضل هذا الادراك روافد لا تنضب للمعرفة ووسيلة مثلى من وسائل ممارسة الفنون .
وقد استعلن طموحه هذا في بحثين أدبيين أحدهما بعنوان «المدخل الى منهج ليونارد (٣) دافنشي (١٨٩٣)» والثاني بعنوان «ليلة مع السيد تيست (٤) (١٨٩٦)» . ففي رأيه أن أعمال ليونارد دافنشي ذات الشهرة العالمية والخصوبة الفنية تعطينا مثالا حيا للتوازن التام بين عقل الفنان وروحه المنطلقة . والسيد تيست هو شخصية راهب فكر الزم نفسه بوضوح لا يقهر وسط بلبلة نفوس بشرية لا طائل منها . » وقد أخمد هذا الرجل في ذات نفسه أنفاس الطيش والوهن » (٥) في سبيل الوصول الى العمل الفكري الجاد : «انتهيت الى الاعتقاد بأن السيد تيست ما أتى الا لكي يكتشف قوانين العقل التي نجهلها نحن ، لانه من المؤكد أنه الزم نفسه بقضاء سنوات في هذا البحث ، كما أنه قضى سنوات اخرى ؛ سنوات اكثر كي يتمثل اكتشافا ته وينضجها ويمزجها بذات غرائزه ... كما انني احسست انه كان سيد عقله » .
وبعد ان انتهى من نشر كتابه هذا لجأ فاليرى مخلصا الى عزلته العلمية

---

(١) La Conque

(٢) La Syrinx

(٣) Introduction à la méthode de Léonard de Vinci.

(٤) P. Valery : M. Teste.

(٥) Soirée avec m. Teste.

تاركا الشعر ، مغتنما فرصة أوقات فراغة التى كانت تتيحها له وظيفته فى وكالة انباء هافاس ، وعكف على تأمل الرياضيات وأسس النظريات المجردة. وفى عام ١٩١٧ فقط خرج من عزلته لينشر ديوانه الشعرى « بارك الشابه »(١) الذى احتوى قصيدة طويلة كانت بمثابة ممارسة عملية وتطبيق لمنهجه العقلى وقد شجع الحماس الذى قابل به القراء هذا الديوان فاليرى على الاستمرار فى الكتابة . وما أن انتهت الحرب الاولى حتى ذاعت اعمال فاليرى الادبية فى أوساط القراء الجادين وبين ذوى الثقافة الرفيعة الذين احتفلوا به ايما احتفال نذكر منهم جيد وهنرى موندو وجورج ديهاميل . ومن أهم اعماله الادبية هى أشعار الشباب التى جمعها فى ديوان بعنوان « مجموعة الاشعار القديمة » ثم اشعار النضج التى جمعها فى ديوانه « المفاتن » . ومن اجمل اعماله الشعرية بوجه عام ديوانه « المقبرة البحرية » الذى يعتبر تأملا عميقا فى مصير الانسانية ، ثم قصائده المتعددة التى جمعها فى ديوان بعنوان « النرجس » . وهذا الاخير عبارة عن تنوعات على موضوع أساسى أسطورى . وبعد أن نشر له ديوان المفاتن ، عاد الى النثر ونشر محاورتين هى « النفس والرقص (٢) » و « الاوبالينوس »(٣) مقلدا فيهما من ناحية الشكل على الاقل محاورات افلاطون . كما أنه كثيرا ما كان يستلهم روح سقراط ويعده ملهمه الوحيد ويستعير منه آراءه الجمالية . لهذا نجد محاوراته فى الكتاب الأول عبارة عن تأملات فى الحماس الذى ينتاب

---

(١) La jeune Parque وهى احدى فتيات الويراى الثلاث فى الاسطورة الافريقية واللاتى كن يسيطرن على حياة الانسان ، احداهن « كلوتو » تمسك بغزله حين مولده وثانيتهن « لاشيزى » تغزله وثالثتهن « اتروبوس » تفكه حينما يدركه الموت . وقد حفل الشعر الفرنسى بالرمز الى هؤلاء الفتيات اللاتى يطلق عليهن بنات الليل وبنات المصير ... الخ .

(٢) L'âme et la danse.

(٣) Eupalinos.

الراقصة عن طريق سحر الحركة ويحيل امرأة بدائية لبضع لحظات الى كائن له طبيعة فوق طبيعة البشر . أما الاوباليبنوس فهو عبارة عن حوار طويل فى نبوغ المهندس الذى يستخدم النظريات الهندسية المجردة ، وبوجه عام فى نبوغ كل فنان يجمع مادته ويخضعها لهذا النبوغ كى ينبثق منها أحد الاعمال الفنية العظيمة : « بحثت عن الانضباط فى الافكار فوجدت أنها وهى تتولد بوضوح (١) من بواعث الاشياء تتحول من نفسها الى افعال فى فنى » .

ولم يقف فاليرى مكتوف اليدين أمام المشاكل الأدبية لعصره فاتخذ بازائها مواقف متعددة وخصها بتفكيره وآرائه التى كان أهمها تلك الآراء المتصلة بالشعر خاصة . وقد برزت هذه الآراء فى المقدمات التى صدر بها السلسلة التى تحمل اسم « منوعات » والتى صدرت فيها بضعة اعداد عن الشعراء مثل لافونتين ، وادجاربو وبودلير وفيرلين ومالارمى . لقد أتاحت هذه المقدمات لفاليرى أن يدلى بآرائه كشاعر وككاتب يعبر عن مفهومه للشعر والأدب بوضوح . ومن أهم ما جاء فيها قوله « ان ما يحدث فى هذا العالم لا يهمنى إلا من ناحية علاقته بالنبوغ » . وهو يعنى بالنبوغ هنا الإصالة والوضوح لأن الشاعر الحق من أكثر الناس وضوحا وأكثرهم رشداً وانضباطا . وهو ذلك الشاعر الذى لا يعتمد على الهام رب من الأرباب لانه يعلم أن بيثيا (١) لا تملى شعرا ، وأن الشعر لا ينبع إلا من ذات نفس الشاعر الذى يغوص فى أعماق ذاته كى يحيل خلجات النفس إلى حقائق واضحة « الشعر هو محاولة التصوير أو التعبير باللغة المنطوقة عن الأشياء أو الشيء الذى تحاول الصرخات والدموع والإعجاب والقبلات والتنهدات وغيرها التعبير عنه » فالشاعر لا يفوته أيا من

---

(١) Pythie كاهنة الاله ابولون اله التنبؤ والفنون والنور فى مدينة دلفى فى الميثولوجيا الاغريقية . وكانت تجيب على أسئلة الوحى بما يراه الاله ابولون .

هذه الأصوات المختلطة التى تنبىء عن الرغبات المستسرة فى أغوار النفس والتى تترجمها قريحته المتقدة إلى كلمات. » لهذا يرى بول فاليرى وجوب ألا يظل الشاعر بمنأى عن الواقع مهما كان نوعه . كما يجب أن تكون القصيدة احتفالا للذهن تشارك فيه الزينات اللفظية وكل ينابيع الموسيقى . فعن طريق قسر دائم يمارسه الشاعر على مفردات اللغة والإيقاع والقوافى ترتسم بالتدريج صورة الجمال . معنى هذا أن فاليرى يقبل كل القواعد التقليدية مادامت هذه القواعد تؤدى إلى التكامل الدقيق الذى نبحث عنه ، وإلى الصورة التى توحى بالأمل فى اتساق عام أو حكمة مقدسة ، وفى النهاية إلى صورة تخلب لب القارئ أو السامع بفضل سحرها وفتنتها . والأساس الذى يعتمد عليه بول فاليرى فى صياغة الشعر أو النثر هو تخير اللفظ وانتقاؤه بحيث لا يقتصر على أداء المعنى الذى يقصده الكاتب بل يتعداه إلى الإيحاء واثارة المشاعر . إذ من مجموع هذه الألفاظ وبالتدريج تتكون صورة أخاذة تخلب لب القارئ أو السامع وتدعوه إلى المشاركة دون عناء . فاللفظ فى حد ذاته لا قيمة له إلا إذا التأم باخوان له يؤلفون معه لحنا ، تماما كالترقيمة الموسيقية لا قيمة لها إلا إذا التحمت بالترقيمات الأخرى على السلم الموسيقى كى تعطى لحنا . ومع هذا فقد اتهم بعض النقاد ومنهم كليمان(١) فوتيل مؤلف المقبرة البحرية بالغموض. لكن أليست موسيقى موزار كانت تبدو غامضة فى عصرها؟

حقيقة أن دراسة فاليرى تعطينا لأول وهلة فكرة لغموض ظاهرى فى قصائده المشهورة . ولكن حينما نتعمقها نجدها الوضوح بعينه ؛ الوضوح الإغريقى الذى اكتنف حياته الروحية . ففى سبت تسطع الشمس لتضىء الأشياء بضوئها الغامر حتى النخاع . وفى هذا يقول(٢) مورا :

---

(١) ناقد فرنسى معاصر لفاليرى Clément Vautel.

(٢) Mauras.

ولدت وخلقت للضبـــر ء
وافقني على أن نخلد النهار

ليس هذا نوعا من الخيال لأن بول فاليرى نفسه يؤكد ذلك بقوله « أدين لميناء مولدى بمشاعر روحى الأولى ، ويحيى للبحر الأبيض وحضارته التى اندثرت فوق شواطئه . لهذا يبدو لى أن كل أعمالى تنبىء عن أصلى ». هذه عبارة لا توحى دون شك بأن فاليرى كان يزمع الاتجاه إلى جبل الفالبورجس (١). وقد سبق أن قلت أن جيته فى أعماق جيرمانيته خاصة فى الجزء الثانى من فاوست كان يتوح على ذلك الحلم القديم للاتينية الضائعة التى يرغب فى استرجاعها والتى كانت أيضاً مثله الأعلى البعيد . وظهور هيلين طرواده ذات يوم خيالى أحبها فيه وهو يقول لها « هل(٢) تعرفين هذه البلاد ... » إنما يتم عن هذه الرغبة العارمة التى لا يزال يحلم بتحقيقها مؤلف « الإخوة والأخوات » فى أحضان رومانسية شمالية. وهى ذات الرغبة التى كانت متسلطة على هولديرلن (٣) ومن بعده نيتشه(٤) ؛ رغبة مثالية ترنو اليها نفس ضائعة فى ظلمات طبيعتها الذاتية . ففاوست هو الإنسان. والإنسان تيه مظلم قدر عليه ويرغب فى إضاءته وإضفاه الوضوح عليه . وفاليرى لم يكن واضحا لقارى سنة ١٩٢٠ بعد أن خرج من ضباب رمزى فى سنة ١٨٩٠ . وبعد سنة ١٩٢٠ لجأ إلى عزلته لينشر على الناس نمطا جيتيا (نسبة إلى جيته) فى «السيد تيست» ، مما جعل فوتيل يصفه بالغموض . لكنه لم يلبث بعد «الشابه بارك» ذات الظلام

---

(١) جبل Walpurge أو Walpurgis حيث كان يجتمع الشياطين فى ليلة معينة من السنة ، وهى الليلة التى جاء ذكرها فى فاوست جيته.
(٢) Kennst du das Land wo die citronnen bluhen...
(٣) Holderlin.
(٤) Nietzsche.

المستمد من مخالطته لما لارمى ، أن ينفذ إلى الوضوح فى « النرجس » و « المقبرة البحرية » . ويؤكد هذا قوله « الشعر هو التنبؤ » و « إننا نصل إلى الوضوح بوسائل الغموض » . بعد كل هذا ما هى القضايا التى واجهت فاليرى فقادته بالتالى إلى أن يطرق موضوع فاوست ؟

إنها نفس القضايا الخالدة بكل تأكيد ؛ قضايا الإنسان الذى لايتغير ؛ قضاياه التى يعيشها مهما اختلفت وسائل هذا العيش ... فقد اختلطت بالتدريج الألوان الأدبية والفلسفية الغامضة بالألوان الصناعية لومضات نار الوضعيين أنصار أوجست كونت ، وكذلك بنشوة انتصار أصحاب مذهب النشوء والارتقاء . وفى النهاية بتيارات الشباب المثقف التى كانت كافية لأحداث استقرار نسبى ساد نهاية القرن الثامن عشر . فى علم النفس حامت الشكوك حول صحة أبحاث فرويد ، وفى العلوم لم يقطع العلماء برأى فيما يتعلق بالذرة . ضربة قاصمة توجه للعلم . المهم كان كل شيء يبدو غير واضح لم يقطع فيه برأى . وأصبح كل ما وصل اليه العلماء مهدداً بأن ينقلب رأسا على عقب . وحتى حوالى سنة ١٩١٠ كانت الفنون لا تزال متأثرة بسحر ضبابية الرمزية ، ولازالت تحوم هنا وهناك الضبابة الأخيرة للرودينباخية (١) . زد على ذلك أنه خلال ربع قرن من الزمن اندلعت حربان عالميتان ١٤ ، ٣٩ ولدت فيها دول واندثرت دول أخرى . وبالتالى برزت إلى الوجود مأساة الإنسان ؛ مأساة فاوست روح الإنسان وقلبه وعقله . لقد ذكرتنا الحرب الأولى بامكان عودتها فى شكل أشد ضراوة وأشد محقاً للبشرية ومنجزاتها وآمالها . وفى مواجهة كل هذا أصبحت القضية البشرية ذات عمقين ؛ عمق

---

(١) نسبة الى جورج رودينباخ Georges Rodenbach الشاعر البلجيكى أحد رواد المدرسة الرمزية ومؤلف الشباب الابيض والصمت السائد

فلسفى يغوص فى باطن النفس البشرية باحثا فى كنهها وطبيعتها وعمق آخر فلسفى أيضاً ولكنه يتجه إلى البحث فى الكواكب والعقل وكيفية تفكيره وسيره . فهو منطقى حينا يريد ومتشكك متردد أكثر مما يريد ، محمولا بالطبيعة إلى شك يقرب من شك أناتول فرانس يريد ومتشكك متردد أكثر مما يريد ، محمولا بالطبيعة إلى شك يقرب من شك أناتول فرانس ويصل إلى قمته عند بول فاليرى الذى لا يؤمن بالمسيحية ، وترتكز فلسفته على « الرفض » نعم ... بول فاليرى الذى يختلف اختلافا كبيراً عن مواطنه باسكال ، ولا يميل أبدا إلى فلسفة كلوديل المتفائلة أوفلسفة بيجي التى تبحث عن العلاج فى مواجهة اليأس الذى يهدده . إذن فليس أمام فاليرى إلا الرضوخ التام لإنكاره الذاتى . وهذا نجده واضحا فى قصيدته « كما هى » و« الأفكار السيئة » .

فنى « بارك الشابة » نجد هروبا مؤلما أمام أحزان عاصفة هوجاء . كذلك نجد هذا الهروب أشد ايلاما بسبب تقدمه فى السن والأحداث المحيطة به والشك القاتل فى أيام يونيه سنة ١٩٤٠ المؤلمة . لقد وصل إلى مرحلة وجد نفسه فيها يبحث عن وجه من وجوه « الانا » التى لا تنضب ، ولم ينته من هذا البحث إلا باجابة غير محددة تختلف بعض الشىء عن « العدم » . وهذا كله بالطبع يلائم الشخصية الفاوستية » . وبشجاعة كبيرة ولكى لا يقرر مأساته بنفسه على المستوى الشعرى أو الذهنى ، ارتدى قناعا فوق القناع الإنسانى ؛ فوق مأساة « أنا الإنسان الذى لست شيئا ego sum qui nego » حيث أحس بنهايته ودمغ أكذوبة الحياة الإنسانية . لهذا كله كتب فاليرى فاوست ، ولكن بطريقة تختلف تماما عما كتبها سابقاه ؛ مارلو وجيته دون أن يصل فى الحقيقة إلى جلال التصورات التى وصل اليها جيته . كان فاليرى

فى الواقع يلهو دون أن ينتهى إلى نهاية لان فاوست فاليرى مكتوبة من ثلاثة فصول دون أن يكتب الرابع . ويبدو أنه كان خائفاً من عدم صدقه مع ذاته ؛ ذلك الصدق الذى كان له بالمرصاد فى الفصل الرابع حيث كانت دموع لوست البللورية على أهبة الانهمار للتخفيف عنه .. كان مقدراً أن يموت السيد تيست دون أن يعترف. فلو أنه قدر لهذا الفصل الرابع أن يكتب لكان فى الإمكان الوصول إلى ايضاحات كثيرة يمكن أن تكون بمثابة علامات على الطريق تفسر لنا مثلا المظهر الساخر الرشيق فى شخصيات فاوست الذى لجأت اليه إحدى عبقريات هذا العصر ؛ هذه العبقرية التى أخذ عليها ديجا Degas المصور « أنها تريد أن تحيط بكل شىء » ومما يؤيد هذا ، ذلك الشيطان الظريف ميفيستوفيليس الذى يلهو مع فتاة يريد أن يغريها بفتى فتتغلب عليه وترده على أعقابه خاسراً . كذلك فعل الفتى التلميذ وكان أشد منه صلابة وأقوى حجة . لم يكن شيطانا شريراً أو مخيفاً بل كان فى استطاعة أى إنسان أن يتسلى معه . ربما كان نموذجا لشيطان عصرنا الذى لا يقدر للبشر على شىء لأن البشر أصبح كله شياطين. ومع كل هذا فان المسرحية فى جملتها قصيدة شعرية عذبة لأنها صدرت عن شاعر عذب الأسلوب رشيق العبارة .

فالى فاوست بول فاليرى ...

عبد العاطى جلال

فاوست

بول فاليري

ترجمة

عبد العاطي جلال

فاوست

قدمت على المسرح فى سنة ١٩٦٢

توزيع الأدوار

فاوست ... ... بيير فريسني

لوســت ... ... دانييل ديلورم

ميفيستوفيليس ... ... بيير دوكس

التلميذ ... ... روبرت ايتشيفرى

الخـــادم ... ... جاك هنرى ديفال

جونجـون ... ... روزين لوجيه

مســتروت ... ... جابرييل جابور

بليــال ... ... بول بيسيجليا

اخراج : بيير بوليز

ديـكور : بيير سيمونيتى

الفصل الأول

فى مكتب الدكتور فاوست

المنظر الأول

فاوست — لوست

(وهى تضحك عند رفع الستار)

فاوست : كفى يا لوست ... فلننته من هذا الضحك ! ليس هنا مكان الضحك (تتوقف عن الضحك) آه لو أنك تعرفين ما الضحك .. ! (تضحك أكثر) قلت لك كفى .. كفى ! هذا غير محتمل وإلا فاذهبى واضحكى فى الحديقة ..

لوست : آسفة يا أستاذ ..

فاوست : ومم تضحكين ؟

لوست : كانت مجرد فكرة ..

فاوست : أى فكرة ؟

لوست : (وهى تستأنف الضحك) .. ف...كـ...ر...ه (تكف عن الضحك) غريبة .. أرأيت ؟ فكرة لست أدرى

كيف أعبر عنها ! !أولا ليست فكرة تماما .. ثم انى أشعر بالضحك يتنابنى كلما عدت إلى هذه الحالة النفسية التى تثير فى الحال كل بدائيتى .. لا تظن أننى أحب هذا الضحك . فهو يؤذينى .

فاوست : وأنا يضايقنى أن أضيع وقتى فى انتظار أن تستنفدى شحنتك البدائية .

لوست : معذرة يا أستاذ .. انها إلى حد ما غلطتك .. أنا أعرف جيداً ما هو الضحك .. لقد أمليتنى فى ذلك اليوم أن الضحك رفض للتفكير وأن النفس تتخلص به من صورة تبدو لها مستحيلة أو أقل مرتبة من مرتبتها ، كما تتخلص المعدة مما تنوء به فتتحاشى بذلك اضطرابا فظيعا .

فاوست : أليس هذا صحيحاً ؟ أليس من الملاحظ أيضاً أن كلا من النفس والمعدة تلجآن إلى القوة البدائية كى تطردا ...

لوست : نعم . لكن الضحك أقل من هذا تنفيراً .

فاوست : هذا يتوقف على الضاحك .. لكن ماذا عن فكرتك ؟

لوست : لا مؤاخذة يا أستاذ .. حدث أنى أعدت التفكير فجأة فى تعريفك الجميل .. ولا أدرى ما إذا كان ما سبق أن قلته هو الذى جعلنى أعاود التفكير .. وهكذا بالعودة إلى كلمتى اضطراب فظيع .. لا أدرى ما الذى حملنى على الضحك ... وقد حدث ! لا جدوى من المقاومة . وفضلا عن هذا ... فى كل لحظة صمت أقول لنفسى :

اضطراب فظيع .. اضطراب فظيع ... هو ذا الأستاذ يلاحظ اضطرابا فظيعا ! بلاهة .. بلاهة ... بلاهة وأعاود الضحك..

فاوست : إذن أضحكى .. اضحكى (تضحك) لا بأس مادام فى حدود الاضطراب الفظيع .. على الأقل يفتر ثغرك عن أسنان جميلة ناصعة البياض .. وترنح رقبتك فى دلال قد يعطل التفكير ... فينأى بنا بعيداً .. احذرى الضحك أمام أول طارق ..

لوست : لكن يزعم البعض أن الضحك يجرد السامع من أسلحته .

فاوست : لكنهم لا يزعمون أنه مجرد غير هادف.

لوست : آسفة يا أستاذ .. أكرر أسفى .. لن أفعل هذا بعد ذلك

فاوست : أنا متأكد من هذا كما أنت نفسك متأكدة .. عظيم .. هل أنت على استعداد لقليل من العمل ؟ فلنستأنف ما بدأنا فى إملائه بالأمس ..

لوست : المذكرات أم البحث ؟

فاوست : قلت لك بالأمس... اننى جعلت منهما مؤلفا واحدا .

لوست : لم أفهم ... إذ غالبا ما تحلق روحك فى قوة وسمو كبيرين لدرجة أن ..

فاوست : لست هنا لتفهمى يا طفلتى .. أنت هنا لتكتبى ما أمليه وتقرئى ما أمليته .. وزيادة على هذا .. زيادة على هذا .. أن تنظرى دون أن تفكرى لكى لا تكونى ثقيلة .. فهمت؟

لوست : ما دمت هنا لكى لا أفكر ..

فاوست : افهمى ما أقوله لك .. ولا تدسى أنفك لفهم ما أمليه عليك .. هل هذا الكلام واضح ؟ أم يجب أن أفسر لك هذا ؟ أنا أمليك ما أفكر فيه . وبينما أفكر وانتظر تفكيرى.. أو أية كلمة أكثر تعبيرا من التى كانت أكثر تعبيراً قبل ذلك ، يطيب لى أن تنشغل عيناى بشىء ما يروق لى بوجه خاص ... فتتعلقان به وتتسليان به فى براءة، كاليد الشاردة التى تلاطف وتداعب شيئا ما بعيداً عن مشاغل الفكر .. تحفة ، تمثالا عاجيا مألوفا ..

لوست : أنا التى يشرفنى يا أستاذ أن أقوم بهذا الدور المشرف البسيط الذى يساهم بنوع خاص فى تهدئة آلة فكرك .. أما عن اليد الشاردة على سجيتها ، أفلا تعتقد أن قطة جميلة لطيفة دافئة تكون أكثر ملاءمة للمداعبة من تمثال عاجى جاف بارد ؟

فاوست : قطة ؟ لطيفة .. دافئة .. ليست فكرة عابثة .. لا تفرطى فى استخدامها .. فلنعمل .. هيا ... يجب أولا أن أنبهك إلى خطتى فى العمل حتى لا تعودى إلى ارتكاب خطأ فى ترتيب النصوص. فلتعى جيداً غرضى العام : أنا أستطيع كتابة مذكراتى ، كما أستطيع أيضاً كتابة كثير من الأبحاث فى كثير من الموضوعات.. لكنى لا أريد هذا ، بل ربما يضايقنى مثل هذا العمل ... ثم انى أرى أن فصل الفكر مهما كان مجردا عن الحياة نوع من التضليل مهما كان أكثر...

لوست : حيوية ؟

فاوست : لنقل أكثر معايشة .. وبالتالى قررت تضمين النص نظرياتى ومشاهداتى وقضاياى وأفكارى بوضوح وببساطة، وفى سرد ما صادفنى فى الحياة بنفس المفاجأة التى باغتتنى بها فى علاقاتى بالرجال، وبالأشياء ..

لوست : بالرجال فقط ؟

فاوست : وبالنساء دون شك .

لوست : بالرجال والنساء فقط ؟

فاوست : وببعض الشخصيات الرفيعة جداً أو المنحطة جداً والذين ليسوا رجالا أونساء ..

لوست : فهمت .. سمعتهم يقولون أن الناس ذوى الشخصيات الرفيعة لم يكونوا من أى الجنسين أو من كلا الجنسين معا .

فاوست : هيا .. أعيدى إذن قراءة البداية ..

لوست : (تتناول كراسة وتقرأ) : بحث الأرستية ... «الأرستية هى فن الرفعة ... »

فاوست : لا .. يجب ألا تأتى الأرستية إلا فى الفصل العاشر أو الحادى عشر ..

لوست (تتناول كراسة أخرى) : آسفة .. هى هذه إذن ؟ ؟ (تقرأ) « الشهوة المجنونة » .

فاوست : ماذا تقولين ؟ ماهذا العنوان ؟

لوست : لقد أمليته لى ... هأنذا أقرأ ما هو مكتوب .. ربما سمعت خطأ ..

فاوست : الشهوة المجنونة ؟ مستحيل ! الشهوة المجنونة ؟ ليس هذا كلامى .. ومع هذا فلا بأس منه ... الشهوة المجنونة ! لابد أنه كلامى . وإذا كان قد جاء صدفة أو خطأ أوعبثاً منك فإنه يعجبنى . سوف أستخدمه ! الشهوة المجنونة . الشهوة فى حد ذاتها كمنبع لطاقة غير محدودة .. أرى إننى أستطيع استخدامه ! نعم ... اكتبى لى هذا العنوان على ورقة وردية .. عربدة فكرية تماما تحتدم فى داخلى بسبب هاتين الكلمتين .. لا أكثر من هاتين الكلمتين « شهوة مجنونة » ! سوف نضع أيدينا ذات يوم على الكنز الذى ستكون هاتان الكلمتان مفتاحا له .. اكتبيهما ..

لوست : كتبتهما .. هذه هى العبقرية ..

فاوست : أليس كذلك ؟ أرأيت المسألة سهلة إلى أى حد . إنها تتوقف على أن يكون الإنسان حساسا لأى صدفة .. هيا .. اعثرى على بداية المذكرات .

لوست : آه .. وجدتها هذه المرة .. هاهى (تقرأ) «مذكراتى ... بقلم الأستاذ الدكتور فاوستوس ... عضو أكاديمية العلوم الميتة .. إلى آخره .. بطل عدة مؤلفات أدبية قيمة » .

فاوست : عنوان هائل ..أضيفى « أدبية وموسيقية قيمة جداً .. ».

لوست : (تقرأ) : « إلى القارئ حسن النية ضعيف الإرادة » .

فاوست : لنه القارئ المثالى ... سوف أكتبها باللاتينية هذه العبارة.. إقرئى ..

لوست : (تقرأ) : « لقد كتب عنى الكثير حتى لم أعد أعرف من أنا. حقيقة لم أقرأ كل ما كتب عنى فى هذه المؤلفات المتعددة ومنها دون شك أكثر من مؤلف لم أوفق فى العثور عليه. لكن تلك المؤلفات التى عرفتها تكفى لأعطائى شخصيا بما فى ذلك حياتى الخاصة فكرة تتميز بغناها وغزارتها. وبهذه الكيفية أستطيع أن أختار بحرية مكان مولدى وتاريخه من بين عدة شهادات ميلاد أثبتت صحتها الوثائق والأدلة التى لا يمكن ردها والتى أنتجتها وناقشها نقاد لهم مكانتهم المرموقة. كما أستطيع أيضاً الارتياب بإخلاص فيما إذا كنت قد تزوجت أم لا، لمرة واحدة أو لعدة مرات وما إذا كانت زوجتى قد اتبعت سلوكا مطابقاً للعرف... »
لا مؤاخذة يا أستاذ .. هذه العبارة غامضة بعض الشيء..

فاوست : كل شيء يجب أن يكون هكذا فى نظرى ... هنا أعنى أن العرف هو ما يريده الناس فى مادة السلوك .. هيا.

لوست : (تقرأ) : مطابقاً للعرف أو للطبيعة .. كذلك الأمر فى أخلاقى التى يستطيع الناس أن يتحدثوا عن كل شيء فيها مادمت رجلا مشهوراً » هل هذا صحيح ؟

فاوست : دون شك ... هذه من أوجه العظمة ... اقرئى.

لوست : (تقرأ) : ينتج عن هذا كله أن حياتى فيما أذكر تمتزج بكل هذه الحيوات التى لا تقل تخيلا أو أصالة عما نسبوه إلى من حيوات .. أن هذا لا يعنينى فى قليل أو

كثير ... المهم هو أنا .. وهذا هو المدهش ... افترض انك موجود .. فهذا هو أنت تماما ..

فاوست : ماذا فهمت من هذا ؟ هيا ..

لوست : (تقرأ) : ان هذا لا يعنينى فى قليل أوكثير .. المهم هوأنا .. وليس الماضى سوى اعتقاد .. والاعتقاد رفض لقدرات روحنا التى تكره أن تتلاءم مع كل الافتراضات المبنية على الغيبيات واعطائها جميعها نفس قوة الحقيقة .. أما أنا فلم أرفض أبداً أن أصيغ هكذا ما يجب أن يكون تاريخا لحياتى. وبالتالى فليس لى ماض بالمعنى الحقيقى . وان مافعلته وما أردت أن أفعله وما كان فى استطاعتى أن أفعله أصبح فى حالة أفكار حية ماثلة أمامى أيضاً ... فأجد نفسى أيضاً أهلا لكل المغامرات التى تتخيلها ذاكرتى أو التى يضفيها على المتعرضون لسيرتى الذاتية فى كرم زائد . ومع ذلك.. » .

فاوست : ومع ذلك .. ؟

لوست : هذا كل شىء .. وقفنا هنا .. جاء أحدهم يذكرك بموعد وليمة العشاء الكبيرة عند وزير الروح . وكان عليك أن ترتدى حلتك الجميلة ذات السيف والقلائد والنجوم .. كنت رائعا حقا . أمير أفكار حقاً !

فاوست : اتخذت منها عبيدى ! ألا تجدين فى كل هذا تجريداً تماما أيتها الشابة .. ؟

لوست : هل يجب أن أقول الحق ..؟

فاوست : أترك لك اختيار الأكذوبة التي تبدو لك أكثر جدارة بأن تكون حقيقية .

لوست : للأسف يا أستاذى .. ليس لى من حدة الذكاء ما يجعلنى أستطيع الاختيار .. تود سؤالى عما إذا كان هذا النص غير مجرد تماما ... كيف أستطيع الإجابة ؟ أعترف لك بأننى نادراً ما أصغى إلى ما أعيد قراءته عليك ... وحينما تمليني أفكر دائما فى شىء آخر وأنا أكتب..

فاوست : كيف هذا .. إذن لاأستطيع الاعتماد عليك كثيراً ؟

لوست : بالعكس يا أستاذى .. فلوأننى أفكر فيما تمليه لكتبت بشكل أسوأ كثيراً . وربما أضفت شيئاً من عندى إلى أسلوبك الجميل ..

فاوست : ربما يكون هذا أحسن ... كقطرات الماء العذب الصغيرة تندى رمالى الجافة ... ماذا يخطر ببالك وانت تكتبين مثلا؟

لوست : أوه .. تفاهات طبعا .. أى شىء .. أحيانا بعض أسئلة فضولية .. فى الحقيقة لا يمكن أن يكون الإنسان بجوارك دون أن يفكر فى كثير من الأشياء .

فاوست : فى أى شىء مثلا ..؟ اذكرى لى بعض الأمثلة ..

لوست : لا .

فاوست : نعم .. أود هذا .. لابد أن تعطينى بعض الأمثلة .. إذ ما دمت أملى عليك مذكراتى فهذا يعنى اننى أستسلم لكل فضولك ... وبهذه المناسبة أنبهك ، ومن واجبى

أن أنبهك إلى نه سوف تصادفك دون شك فى هذه المذكرات التى أنا بصدد كتابتها أكثر من صفحة ربما يكون الاصغاء إليها مضايقا لك بما فيه الكفاية .. وسيكون أكثر مضايقة كذلك إعادة قراءتها على .. ومع هذا فاننى أود أن أقدم فيهـا طابع صدق أشد قوة وأشـد أثراً مما أستطـاع أن يقدمه أى كتاب آخر . وهذا الأثر القوى لا يمكن الوصول اليه إلا بأن يعانى الإنسان نفسه كل المخاوف ، والمخازى الخفية أو التجارب الممقوتة التى فى استطاعة الإنسان أن ينبه اليها سواء أكانت حقيقية أم كاذبة . وليس ثمة ماهومنحط جداً أو نزق جداً دون أن يضفى ظلا من الحقيقة على قصة ذاتية . وبالتالى فلو أن أذنيك العفيفتين ..

لوست : أذنى . ؟ كيف ؟ حتى الأذنين ؟ لا أعرف هذا ..أيمكن أن تكون الأذنان غير عفيفتين ؟ أذناى الصغيرتان اللطيفتان ! يا له من اكتشاف ! أى شىء يمكن عمله فى الأذنين غير ثقب صغير بابرة من أجل قرطين ؟

فاوست : الواقع أنهما تدعوان القرطين .. أنهما ساحرتان هاتان الأذنان ..(يمسكها من أذنها) متفتحتان فى عجب .. خلقتا للاصغاء دون الفهم أوإدراك مالا يفصح عن نفسه.. أنا متأكد أن هذه الأذن تسمع جيداً ما أقوله لها فى هذه اللحظة (يترك أذنها) إن للطبيعة ضعفا أمام المخروطيات الصدفية التى نصنع منها حليا غريبة فى البحر وأدوات زينة للسمع

على جانبي رأس جميل .. لكن المسألة تتعلق بشيء آخر .. وودت أن أخبرك بانك إذا لم تكونى متأكدة ... متأكدة تماما من أنك لن تتضايقى أبداً أو تصدمى أولن تكونى مكترثة جداً .. جدا بما سوف يحدث وأنا أمليك، فمن الأفضل لك ولى أن تفكرى من الآ ن فى عمل آخر أقل امتهانا لمواهبك .

لوست : إذا فهمت ماستمليه على فسأستطيع أن أسمعه وإذا لم أفهمه ...

فاوست : إذا لم تفهمى ستحاولين أن تفهمى .. وهذا أسوأ .. فمن يدري ماسوف تخترعينه ؟ الأبرياء مخيفون ... قلت بنفسك أنه قد ورد على خاطرك أسئلة فضولية ... وأنا لم أمل بعد عليك شيئا ليس نقيا تماما .

لوست : من ناحية أسئلتى يا أستاذ .. ليس عندى غير سؤال واحد .

فاوست : ماهو ؟

لوست : أوه .. لا أجرؤ أبدا .

فاوست : إسألى .. أنا أريد هذا .. يجب أن نصل إلى الهدف .. بدون هذا ...

لوست : بدون هذا ماذا يحدث ؟

فاوست : بدون هذا سوف يرزح قلبك بعبء البقية المحتجزة لفكرى. كما أن شعورى بأنك تخفين عنى شيئا سوف يمتد إلى إلى نفسى . وفى هذه الحالة تنعدم الثقة ويفسد العمل من

جراء ذلك . مع أنني فى مسيس الحاجة إلى التأكد من ثقة أكبر تتبادل بيننا وتكون مملوءة بالوضوح .. فى حاجة إلى سكرتيرة .. فتاة من البللور..

لوست : أوه .. عنوان جميل .. الفتاة البللورية .. يصلح أسما أيضا ... اسما جميلا ! لوست البللورية ، الفيكونتيسة لوست البللورية ... أستطيع التوقيع بهذا الاسم على الروايات ...

فاوست : هل تريدين هذا الإسم ... تريدين أن تتسمى به ؟ .. إذن كونى حقيقة به .. كونى شفافة .. تكلمى ..جاوبينى..

الوست : مادام ولابد ... مادمت تصر ... مادام يجب أن أكون شفافة ... سأتكلم ... سأسألك ... أنت لا تريد منى أن أسكت .. يتحدث الإنسان بقدر ما يريد ..

فاوست : خطأ شائع .. يتحدث الإنسان بقدر ما يسطتيع ...ما يستطيع هيا تكلمى..

وست : إذن قل لى يا أستاذ .. هل أنت حقيقة تتعامل مع الشيطان ؟

فاوست : الشيطان ؟(يشير إلى لوست علامة الإيجاب) هذا أمر طبيعى كأى انسان .. هل تعرفين إنسانا ليست له علاقات خاصة معه ؟ مستحيل .. وما هى الوسيلة لتجنب مثل هذه العلاقات ؟ هل يجب ألا يفكر الإنسان ، ألا يحلم ، ألا يحس ... خذى مثلا أنت .. ماذا تفعلين فى هذه اللحظة

يا طفلتى ؟ انك تحترقين يا اوست الشابة .. تحترقين شوقاً لكى تعرفى ..

لوست : طيب هل رأيته ؟

فاوست : قالوا هذا وكتبوه وتغنوا به أيضاً ... تغنوا به كثيراً .. قالوه وكتبوه وتغنوا به لدرجة أننى وصلت إلى الإيمان به... لكن الآن بدأت فى عدم الإيمان به ..

لوست : بعد ثلاث آلاف تجربة ؟ لماذا ؟

فاوست : لأنه مقدر على أن أقف وقوفا تاما على الآراء الممكنة لكل وجوه الحياة، وأن أعرف بالتالى كل المذاقات حلوها ومرها، وأن أربط وأحل وأعيد ربط كل تلك العقد التى ليست إلا أحداثاً لحياتى ... لم يعد لى سن ... وسوف لا تنتهى هذه الحياة إلا بعد أن أحرق فى النهاية كل ما أحببت وأحب كل ما أحرقت .

لوست : يالبؤس هؤلاء النسوة اللاتى أحببنك ! لابد وانك ألقيت بهن فى أتون تجاربك ..

فاوست : لا فائدة ... حسبى حياتى .. وعلى أية حال فالمرأة لا تحترق كما يجب .. لابد من ملاحظة عملية احتراقها وتزويد الموقد طوال الوقت . . . وهذا يكلف كثيرا ويضنى كثيراً ..

لوست : فى جولتك الكاملة هذه للوقوف على الآراء، تذكرنى بطبيب أمى.. لقد منعها عن الملح مدة عشر سنوات وإلا

الموت .. ثم صرح لنا بعد ذلك به .. وأنا متأكدة أنه مستعد لمنعها عنه قريبا .. لكن ... أجابتي ؟ لم تجبنى .. هل حقيقة رأيته .. رؤية .. ما نسميه رؤية ؟ كيف هو؟

فاوست : كيفما يريده الناس .. هل تسمعين ؟ كيفما يريدونه .. كل مايريدونه .. يستطيع هو دائما أن يكون كما يريده الناس ..

لوست : لم أحظ باجابتى يا أستاذ ... لم أسمع إلا ردوداً فقط .

فاوست : وأضيف إلى هذا ، أنه يتقمص كثيراً من الأشياء التى يتأتى للعيون الثاقبة أن تتعرف عليه فيها .. خذى مثلا طقس أمس الجميل .. كان الجو معتدلا رقيقاً بعد ذلك الجو الممطر .. كان هو .. كذلك المقعد الصغير تحت أشعة الشمس ، وقد كان يغرى الكثيرين بأنه مقعد مذهب بعيد عن أعين الفضولين تحت أغصان الشجر التى تداعبه .. إغراء بالاسترخاء .. إنه هو .. مذاق معين لفاكهة الفراوله أو على الأصح ذكرى هذا المذاق لأنها أكثر فاعلية .. إنه أيضاهو .. أنت نفسك ، مثلا لكى يضيع أحد المارة ، يمشى وراءك ويشم نكهة عطرك .. إنه هو .. لوست .. إنه أنت نفسك .

(طرقة على الباب)

لوست : لا يا أستاذى ... كل هذا ضرب من الأدب .. إنه ليس هو ..

فاوست : ضرب من الأدب ؟ ليس هو الأدب دائماً بكل أسف ..
إنهم — كما يقولون — من شيء آخر تماماً ، إذ ليس للأدب دائماً
هذا الزخرف وذلك العمق (طرق على الباب . يدخل
الخادم) ما هذا ؟

الخادم : رجل بالباب يا سيدى الأستاذ.

فاوست : ذكر لك اسمه ؟

الخادم : قال إنه كان صديق سيدى .. وهو لا بالطويل ولا بالقصير ..
لم أع اسمه تماماً .. يتكلم بلكنة مضحكة أو على الأصح
لكنة أجنبية .

فاوست : (محدداً المقاطع) : يتكلم الايطالية بلهجة روسية .. ؟

الخادم : لا أعرف يا سيدى ..

فاوست : عظيم .. دعه يصعد (للوست) لو سمحت اذهبى وانتظرينى
فى المعمل يا آنسة حيث لا بأس من فكرة طاهرة ولا شىء
من الأوامر .

لوست : هأنذا ذاهبة (لنفسها) إنه هو .

(تخرج)

المنظر الثانى

فاوست — ميفيستوفيليس

ميفيستوفيليس فى ملابس أحد رجال
الدين ، أنيقاً جداً ، أذناه مدببتان فى
طرفيهما الأعلى كأذنى التيس .

ميفيستوفيليس : هذه الصغيرة متلهفة جداً لمعرفة الشيطان . فهل كان على
إذن أن آتى بقرنى وبالملابس الحمراء والطرفين المجنحين
والمخالب والذيل ؟

فاوست : أنت هائل جداً هكذا ... تستخدم الباب للدخول ، وتفوح
عطراً .. يالله !

ميفيستوفيليس : أليس كذلك ؟ تعديل بسيط فى المادة الكبريتية التقليدية
أنشر به عطراً ممتعاً نفاذاً فى حاسة الشم ..
(يجلس فى وضع غريب على المنضدة)

فاوست : تعرف جيداً أن العطور من أكبر الوسائل الغادرة بهذا العالم .
إنها تعلن عن ألذ النوايا وترسم خططها وتفضحها .. من
يتعطر يعرض نفسه ! وقد كان أحد القديسين يدعى أن
العطور تمنع التأمل .

ميفيستوفيليس : قول فيه كسب كبير ... التأمل رذيلة فريدة تحفر فى الضيق
ثقباً أسود تأتى الحماقة لتملأه ... إننى أدين بالكثير إلى
التأمل ... ماذا يجب عمله نحو هذه الفتاة ؟

فاوست : مهلا .. إن الأمر لا يتعلق باغواء مرجريت جديدة ..

ميفيستوفيليس : هل وعدتها بعقد لؤلؤ ؟

فاوست : أبداً ..

ميفيستوفيليس : ها هو ..

(يفتح يده فيسقط منها عقد من اللؤلؤ)

فاوست : لا لا لا ... أنت تصغى إلى كل ما يحدث به الانسان نفسه .. لكنى لاحظت أنك كثيراً ما تفهم بطريقة ملتوية .. أنت ملىء بالأفكار المسبقة .

ميفيستوفيليس : اعترف لى بأنها فكرة جميلة من أنضج الأفكار حينما دسست بين أشتات أوراقك تلك القصاصة الصغيرة التى تحمل عبارة « الشهوة المجنونة » .

فاوست : انه عنوان مدهش .. هل أنت الذى أعطيته لى ؟

ميفيستوفيليس : ماذا تريد أن أفعل به ؟ خذه .. خذ العبقرية من عبقريك فى الشر .. لكن أظنك لن تجنى مطلقاً فائدة كبيرة من هاتين الكلمتين الساحرتين لأنهما جعلتا الفتاة عصبية جداً .. أما أنت .. أنت ! أنت .. شهوة مجنونة ! ها ها ها (يضحك) اضطراب فظيع ! أنت ها ها ها . !

فاوست : قلت لك إن الأمر لا يتعلق بمرجريت جديدة

ميفيستوفيليس : آمل مخلصاً أن يكون الجنس قد انتهى ... فنحن لم نعد لا أنا

ولا أنت ، كل حسب طبيعته ،فى حاجة إلى وصل شهاب عائد بعذرية تكمله .. ومع ذلك فى الامكان دائماً التفكير فى هذا الأمر .. أنا شخصياً أفكر دائماً فى كل شىء .. فسر لى موقفك إذن مادمت قد استدعيتنى ..

فاوست : أنا ؟

ميفيستوفيليس : نعم أنت .. لقد فكرت ثلاث آلاف ومئتين مرة فى خادمك القديم منذ ثمانية أيام ... منذ أن وضعت فتاتك الشفافة قدمها عندك ... وشعرت من بعيد جداً بذبذبة رنين الفكرة التى لديك حى ،ولكنى لم استطع معرفة سبب هذا ومقصده ؟ فعقلك المتبحر جداً ، المعقد جداً ، المختلط بالمعارف العجيبة ، المستوعب لكل التحليلات القصوى ، المملوء بكثير من المتناقضات ، فى منتهى الجنون ومنتهى اليقظة فى آن واحد،لدرجة تضل فيه نفسى فلا أعرف أبدا إلى أين يتجه وأى شىء يريد. وطالما أنت نفسك لا تعرف ، فأنا لا أستطيع أن أعرف أكثر منك .. لكنى مع هذا نفذت ثلاث آلاف ومئتين مرة إلى هذا الخليط المشوش للنفس،بناء على رغبة معينة أو لحاجة فى أن أرى نفسى .. لرغبة أو لحاجة .. فى علاقة غامضة مع تلك الفتاة لوست التى نحن بصدد الحديث عنها ... أنا أيضاً لى أذنان .. أذنا تيس ... تفهمان .. بلا قرطين

فاوست : ربما تكون على حق ... لدى مشروعات ... الحب خارج

هذه المشروعات..أما لوست فزواياى نحوها بسيطة وطاهره تقريباً .

ميفيستوفيليس : فى هذه المشروعات شىء من الجنون..وفيها مايشبه تخطيط لشهوة

فاوست : لا أدرى ما إذا كانت وحشيتك تستطيع فهمى .. الأرواح القاسية كالأفعال الطاهرة بحكم جوهرها .. فهل تستطيع إدراك أننى فى حاجة إلى إخلاص محبب إلى نفسى .. إلى صحبة حلوة لطيفة على أتم استعداد لأن تكون رقيقة؟ هذا شرط.. رقيقة جداً .. نعم .. الرقة .. لا أكثر ولا أقل ...

ميفيستوفيليس : الرقة بعرى تام ..

فاوست : لا .. الرقة بملابس تامة .. هذا كل شىء .. لست فى حاجة إلى توضيح أكثر .. لست فى حاجة إلى حب ، أعرف تماماً أنه يفضى إلى الدمار والتقزز والبلاوى .. إنه البرودة ..
إنه الكراهية أو الموت الذى ينتهى بهذه الألاعيب .. ألاعيب الجسد أو القلب ... ويصفى حسابهما فى الملذات ! أكرر لك قولى إننى لا أريد إلا صحبة حلوة قريبة من فكرى ، ومساعدة حساسة ذات تأثير لأنها يجب أن تعمل .. لوست

ميفيستوفيليس : تحتك

فاوست : دعك من حماقاتك إذن .. قلت لك لست إلا روحاً .. ولم تكن للروح روح أبداً ... أن يكون لى ، ليس معناه أن أملك .. المهم أجد بقربى إنسانة جادة نسبياً فى المرح ومرحة نسبياً فى الأمور الجادة .. رقيقة نسبياً فى العمل .. شغالة نسبياً ...

ميفيستوفيليس : فى الرقة .. أنشر هذا فى الاعلانات المبوبة

فاوست : لكن أظننى عثرت عليها..

ميفيستوفيليس : وأنا أظن من عثرت عليها عثرت عليك . كل هذا لا يفسر لى قط ما يجب على عمله الآن فى موضوعك الشائك هذا .. ماذا تريد ؟ ماذا جئت افعل هنا ؟ أنت لم تعد جزءاً من اهتماماتى ... لقد صفينا حسابنا .. أما عن الانسانة المرحة نسبياً إلى آخره ، فسوف تسير وحدها إلى حيث تسير . سوف تعدو .. لا جدوى من الانشغال بهذه المسألة ... وبعد ؟

فاوست : تستطيع أن تخدمنى فى ناحية أخرى .

ميفيستوفيليس : عارف .. لا أحد يفكر فى تفكيراً بلا منفعة ، وهنا يكمن المصير المؤلم لكل القوى الحقيقية .. فالكل يتخذنا خداماً متخصصين فى الأعمال العويصة التى تحتاج إلى مواهب تفوق مواهب البشر ...يتشفعون بالقديسين ويستحضرون الشيطان ... دون أن يخشوه عن قرب . وبمجرد أن ينفدوا بجلودهم من المشكلة ، لا يهمهم ما إذا كانت النجدة قد لحقتهم من فوق أو من تحت..

فاوست : مضبوط .. الانسان فى منتصف الطريق بين الاثنين . لكنى لم أنته بعد من كلامى .. أريد الاستعانة بك ... لكن فى عمل يختلف تماماً عن كل الأعمال التى يستعين بك الناس فيها بوجه عام .

ميفيستوفيليس : الشر محبب إلى الجميع .

فاوست : مهلا ... أريد الاستعانة بك، وربما أسدى إليك خدمة معينة نظير ذلك .

ميفيستوفيليس : لى أنا ؟

فاوست : إسمع .. لا أستطيع أن أخفى عليك بأنه لم يعد لك تلك المكانة العظيمة التى كنت تتمتع بها من قبل .

ميفيستوفيليس : تظن هذا ؟

فاوست : أؤكد لك ... أنا لا أتحدث عن حصيلة أعمالك أو حتى عن صافى أرباحك، ولكنى أتحدث عن النفوذ والقيمة والشرف .

ميفيستوفيليس : ربما .. ربما

فاوست : لم تعد تخيف كثيراً .. ولم يعد الجحيم يظهر إلا فى الفصل الأخير .. لم تعد تتسلط على أرواح أهل هذا العصر . حقيقة يوجد بعض جماعات الهواة الصغيرة والبدائيون .. لكن طرائقك زالت بزوال عصرها .. وأصبح تكوينك الجسمانى مضحكاً ..

ميفيستوفيليس : ربما وضعت نصب عينيك إعادة شبابى؟

فاوست : لم لا ؟ كل بدوره

ميفيستوفيليس : مضلل .

فاوست : أريد فى الحقيقة تسليتك بعض الشيء ... وهى وسيلة وجدتها كى أسلى نفسى أنا شخصياً بعض الشيء .. سوف نتبادل السلطة ..

ميفيستوفيليس : لا أفهم .. هل تجرؤ وتدعى أنه من الممكن أن أكون في حاجة إليك ؟ ؟

فاوست : أنا أعرف ما أقول .. أنت من عالم غير عالمنا .. عالم الأبدية يا صديقى .. ولست سوى روح .. وعلى هذا فليس لك فكر قط .. ولا تعرف الشك أو البحث ... وفى أعماقك ساذج للنهاية .. ساذج فالنمر الذى يشتهى الفريسة فيتحول إلى غريزة مجردة .. غريزة الافتراس . إنه يدين بكل شىء إلى الأغنام والماعز ، عضلاته ... مخالبه .. دهاؤه .. صبره العجيب .. لا شىء أكثر من هذا فيك آكل أرواح لا تعرف مذاقها ؟ أنت لا تشك حتى بأنه يوجد فى هذا العالم شىء آخر غير الخير والشر ... لن أفسر لك هذا .. لن تكون قادراً على فهمى .. فقط أقول لك .. يمكنك الاحتياج إلى واحد يفكر ويتأمل من أجلك.. والروح النقية وحتى غير النقية ليست أهلا لهذا .

ميفيستوفيليس : لم يخاطبنى أحد قط بمثل هذه اللهجة .. منذ زمن بعيد جداً على الأقل .. تقول إننى غير قادر على التفكير ؛ أنا الذى نفذت إلى كل أفكارك ..

فاوست : لا .. أنت تتحرك كالصاعقة فى أكثر طرق الطبيعة البشرية قصراً .. طرق الشر .

ميفيستوفيليس : كل هذا محل بحث .. أنت شخصية غريبة جداً ، لقد عرفت قلة من الناس أمكنهم أن يعرفوا وأن يتمكنوا ، وأن يرغبوا

مثلك فى أن ينأوا تماماً ، عن اللعبة . لقد مرت من بين أظافرى هذه مليارات من الأرواح .. وسواء نفدوا بجلودهم أم لم ينفدوا ، فما وجدت إلا عدداً ضئيلا منهم .. يمكن أن يتفردوا بصفاتهم ، فلا يشبهون الآخرين .. رأيت عشرات الآلاف يسمون قيصر فى مثل المعية يوليوس ومن هم فى مثل ألمعية سوفوكل وأرشميد وأفلاطون وكونفوشيوس وبراكزتيل ... كثيرين ... وأنا لا أتحدث عن ذوات الجمال اللآتى كن يعتقدن ألا منافسات لجمالهن .. والفنانين المبرزين ذوى المكانة المرموقة وكثيراً من النساك وكل صانعى المعجزات ... وآه لو عرفت كم هو مسل ومضحك تأمل كتل من الناس النادرين وهم يلتصقون بعضهم ببعض كجموع النحل .. هذه مجرد نظرة واحدة من نظراتى الجميلة .. كل واحد من هؤلاء الذين سردتهم عليك كان يعتقد أنه الفريد فى بابه ، وفعل دون شك كل ما فى استطاعته حتى لا يشبه المواهب الأخرى فى رقتها أو فى عنفها أو فى عمقها كى لا يكون له نظير قط ... وقد كان حسبى وقتذاك أن أواجه عبقرية بعبقرية من نفس نوعها كى ألقى فى اليأس الأبدى بكل المتعجرفين من الممتازين واثبت أقدامهم فيه .. ومن هؤلاء نفر كانوا كالماس الذى قد يبدو لمعانه لعينيك كلمعان الزجاج . وهذا الفحم المصهور يمكن أن ترصف به الشواطىء ، أو يمكن أن تمتلىء به أحشاء البراكين !! آه لو عرف الناس

مدى وفرة ما هو نادر ، ومبلغ الرجال الممتازين خلال آلاف القرون !! أما أنت فانك تحظى باهتمامى... حالتك ربما تكون من حالات ماس العظمة هبطت إلى الصفر ... لكنك تحظى باهتمامى ... ربما تكون حالتك من الحالات الخاصة تماماً.

فاوست : أرحتنى

ميفيستوفيليس : نعم .. لا السماء تمكنت من الفوز بك ولا الجحيم .. و ها هم الناس يقولون أنك تقيأت شهد وعودهم . كما تقيأت حقد وعيدهم .. ومن هنا يجىء إعجابى بك . وهذا يدهشنى ..

فاوست : إذن لنعقد صفقة..

ميفيستوفيليس . لكنك لم تفصح لى عما تريد .

فاوست : إصغ إلى .. أريد القيام بعمل جليل ... كتاب

ميفيستوفيليس : أنت ؟ ألا يكفيك أنك أنت نفسك كتاب . ؟

فاوست : لدى مبرراتى .. سوف يكون هذا الكتاب مزيجاً ذاتياً لذكرياتى الحقيقية والمزيفة وافكارى وتكهناتى والنظريات والاستنتاجات المستخلصة جيداً والتجارب الوهمية ، وبالجملة كل جوانبى المتعددة .. كتاب يمكن الاستعانة به فى شتى النواحى أو عدم الاستعانة به فى أية ناحية .

ميفيستوفيليس : ليس هذا بجديد تماماً ... كل قارىء كفيل بمثل هذا العمل

فاوست : ربما لا يقرأه أحد .. لكن الذى يقرأه ان يقرأ بعده كتاباً آخر .

ميفيستوفيليس : سوف يموت من السأم ..

فاوست : أسكت .. أود أن أكتب هذا السفر بأسلوب من إبداعى يسمح بانتشار العجيب بين الناس فى روعة الهوى وانطلاقه إلى غايته، ونقل النثر إلى الشعر، والحقيقة السمجة إلى مثل عليا أكثر .. أكثر رقة .

ميفيستوفيليس : أنا لا أعرف خلاف هذا ..

فاوست : أسلوب يقترن فى النهاية بكل ذبذبات النفس، وكل وثبات الروح . ويكون كالنفس ذاتها تتحمل أحياناً تبعة ما تعبر عنه وتبدو كارادة تعبير . أسلوب كجسد حى لمن يتحدث به ، كيقظة فكر تبهر فجأة لأنه استطاع لبعض الوقت أن يمتزج بموضوع ما ، وإن كان هذا الامتزاج بالضبط هو روحه ودوره .

ميفيستوفيليس : هو هو ... ظاهر للعيان أنك عاشرتنى . أسلوبك هذا ميفيستوفيلى تماماً يا سيدى المؤلف .. المهم أن الأسلوب هو الشيطان لقد أعطانى الأكبر منى مثلا للاستعارات .

ميفيستوفيليس : بحق حربتى المشعبة، أوافقك على هذا .. فلو حدث مثلا أن سرقت امرأة جميلة حلى ثرية قبيحة، فإنى لا أرى فى هذا إلا وضعاً للأمور فى نسقها الطبيعى، وعوداً مضبوطاً لحالة الانسجام . وأنا أساند هذا الانضباط بكل ما فى وسعى . إنه لمن العدل وأصول اللياقة أن تصبح الجميلة أكثر جمالا وألا تفتئت القبيحة على القانون الذى جعل منها شيئاً يدعو إلى الرثاء يتجنبه النظر .

فاوست : فى رأيى إذن هذا العمل الكبير الذى يجب فى النهاية أن يتخلص منى ... وهو من ذات نفسى تماماً ، وقد انفصلت عنه فعلا ... أريد أن أتخفف من هذا العبء وأنفلت إلى الأبد من كل ما هو مشابه لشىء ما .. وألقى بنفسى فى أحضانك أو فى أحضان زميليك القديمين ؛ الروح والانطلاق ، كجوال الآفاق الذى يتخفف من متاعه ويمشى إلى المغامرة غير ميال بما ترك وراءه .

ميفيستوفيليس : إذن تريد أن تصبح أديباً وتتحول إلى غازى متواضع ! فى هذه الحالة سوف يصبح من الصعب على أى إنسان أن يمسك بقلمه .. أأكتب أنا ؟

فاوست : هذا بالضبط ما يجب على كتابى الكبير أن يفعله .. أن يخلصنى دفعة واحدة ..

ميفيستوفيليس : وأنا ؟ هل ترانى شرابة خرج ؟

فاوست : عجباً ! يا لها من فكرة مضحكة .. لكنى سأكون فى حاجة إلى لوست وإليك بالذات .. سوف أقودكما أنتما الاثنين ، بفضل نفوذك ، إلى أماكن متعددة من العالم حيث أود تماماً رؤية الشيطان التقليدى الذى هو أنت .. لا أستطيع أن أخفى عليك أنك تبدو متخلفاً عن هذا العصر جداً وأنك لا تدرك التجديد الهائل فى حياة إنسانه .

ميفيستوفيليس : الإنسان هو هو دائماً ... وأنا كذلك .. لا أزال مثابراً ..

فاوست : مثابراً فى الخطأ الأبدى .. فحتى الآن لا تزال وسائل عقل

الانسان ضعيفة ؛ ذلك العقل الذى لا يمس غير أسطح الأشياء ويتعدى جوهر الحياة . إن أعظم الملوك لم يكن ليستطيع غير القتل والدمار .. وكل ماكان يتصوره الانسان متفوقاً على هذه السلطة المحدودة جداً ، كان يبدو وكأنه خاص بنظام يفوق الطبيعة . فعاش السحر فى هذا الظن ... أنت تعرف شيئاً عن هذا يا ميفيستوفيليس النابه ... لابد وأنك تعرف هذا بقدر ما تعرف نفسك .. فما أنت إلا حصيلة تقاليد .

ميفيستوفيليس : تعنى خرافة .. بعد أن كنت شرابة خرج ..؟

فاوست : أعتبرك كيفما تكون حالتك .

ميفيستوفيليس : حتى فى الوقت الذى تطالب منى أن أقدم لك خدمة .. يالك من إنسان .. كلهم متشابهون .. دائماً هم هم .

فاوست : أنا أود خدمتك وإفهامك أولا إلى أى حد سيكون لمركزك الخاص شأن خطير جداً بفضل التبادل الذى قلت لك عنه .. إقبل ... فالانسان يجرد يوماً بعد يوم نفس الانسان الذى صنعته منذ آدم المسكين .. لقد كرست نفسك لمحاولة تضليل هذا النموذج القديم وإضاعته جيلا بعد جيل .. وها أنت لا تزال تمارس حرفتك .

ميفيستوفيليس : آسف .. إن فنى ..

فاوست : فنك ، إنما يتبع منهجاً موفقاً حتى الآن .. فأنت تطبق أوليات علم القلب تماماً فى بساطة جد ملائكية ونابهة بدلا

من تزويده ببعض حيل عالم الطبيعة الضاحك ، هذه الحيل التي لا تكاد تتغير .. انتظر ! دعني أكملك. فبينما كنت تستسلم للخمول في أبديتك معتمداً على وسائلك التي اتبعتها منذ السنة الأولى للخليقة ، وصل الأمر بفكر الإنسان الذي خاصته أنت ذاتك من بلاهته ، إلى حد مهاجمة أسرار الخليقة .. تصور هذه الأنفس وقد وجدت تلك الفوضى القديمة داخل أجسادها وكجزء لا يتجزأ من واقعها . !!

ميفيستوفيليس : الفوضى .. تلك التي عرفتها ؟ لا يمكن

فاوست : في استطاعتي أن أريك هذا .

ميفيستوفيليس : الفوضى ...؟

فاوست : نعم .. الفوضى .. الفوضى القديمة .. ذلك الخالق الأول في المتناقضات التي تفوق الوصف والتي كان فيها الفراغ والزمان والمكان والضوء والممكنات والفضائل في حالة مستقبلية .

ميفيستوفيليس : وجدوا الفوضى .؟ كنت رئيس الملائكة آنذاك .

فاوست : وها هم يبدأون في الناس قوانين الحياة .. إصغ إلي : إنهم من الآن فصاعداً لن يتوهوا في أفكارهم . لقد فهموا أن العقل وحده لا يستطيع الا الافضاء إلى الخطأ وأنه لابد من تثقيفه ووضعه تماماً تحت التجربة . وتحولت علومهم إلى قوى تطبيق ثابتة البراهين .. ولم تعد النظرية العلمية

إلا شيئاً مكتملا ... إصغ أيضاً : ولا شيء مما اكتشفوه يشبه ما تصوروه من قبل ... لم يتبقِ شيء لا من الحقائق ولا من الأساطير التي وصلتهم من الأزمنة الأولى .

ميفيستوفيليس : هذا فظيع .

فاوست : أراك بدأت تنفعل .. وهذا الانفعال يهمني ، لأن فكرتي هي أن أجعلك ترى كل هذا عن كثب .

ميفيستوفيليس : مع الفتاة ... ؟

فاوست : نعم ، أريد أن ألاحظ ، كما أريدها أن تقيد ملاحظات لكتابي الضخم عن ردود فعل الشيطان تجاه كل الانفعالات التي لا تستطيع رؤية العصر الجديد عدم اثارتها في الروح الجهنمية ... فكر فكر أيها الشيطان ، فهذا التبدل العجيب يمكنه النيل من شخصك المخيف أنت ذاتك . إنه نفس مصير الشر الذى أصبح لعبة في يد القدر .. هل تعلم أن هذا العصر ربما يكون نهاية العقل ؟ هذا العقل للذى فرض على كل إنسان كالاحساس القوى بقيمة فذة أبدية مثل الرغبة التي لا تنضب والمقدرة على الاستمتاع والمعاناة؛ قيمة ليس من سبيل إلى تغييرها أو الاستهانة بشأنها . وها هو الانسان يموت ويذوب في الجماهير وتختفي الفوارق أمام تكدس الآدميين ، ولم تعد الرذيلة أو الفضيلة سوى خصلتين يصعب التفريق بينهما وتذوبان في كتلة ما يسمونه بالمادية البشرية ، ولم يعد الموت سوى لازمة من لزوميات إحصاء هذه المادية المخيفة . لقد فقد فيها منزلته ومعناه ... التقليدى ..

لكن خلود الأرواح يتبع بالضرورة مصير الموت ذاته ؛ ذلك الخلود الذى يفسره ويعطيه معناه وقيمته اللا محدودة .

ميفيستوفيليس : أنت تقذف رعباً .

فاوست : هذا هو الواقع ... لا شىء من عندى فى هذا ... فقط كان لابد من تنويرك بما هو حاصل كى أتوصل إلى إغرائك .

ميفيستوفيليس : إخلص ... وخذ قرنى بعد هذه المواجهة .. وعلى أية حال فسوف تتسلم قرنيك نظيفين يا معلمى .

فاوست : لم يعد هناك وقت للهذر .. هأنذا أنهى حديثى .. هل أنت متأكد تماماً يا شيطانى ، أن مركزك السامى محتفظ لك به إلى الأبد .. وأن الانسان لن يجد فى السموات العلى أنك عميل فترت همته ولا يجدد وسائله التى أصبحت تغل قليلا ؟ إن وظيفتك من أكثر الوظائف أهمية فى إصدار الأحكام العليا ... لكنك ربما لم تعد تتمتع بنفس الثقة ... وليس مكتوباً أنه لن يأتى شيطان آخر أشد سوءاً منك .

ميفيستوفيليس : ياعزيزى .. رئيس الملائكة لن يستبدل بأحد غيره أبدا .. أنا سقطت ولكن من أعلى عليين ..

(يبدو ميفيستوفيليس مضاء لحظة بضوء خافت بنفسجى)

فاوست : لاشك .. لكنك سوف تدرك حينما تتعرف أكثر على أناس هذا العصر إن كل تدبير كنت عنصرا من عناصره الأساسيه لم يعد إلادمارا وانحلالا . لابد ان تعترف أنت ذاتك باحساسك بالضياع ، وبانك أصبحت مغلول اليدين بين كل

هؤلاء الآدميين الجدد الذين يقترفون المعاصي دون أن يدركوا مايفعلون ودون أن يعلقوا اية أهمية عليه ... والذين ليس لديهم أية فكرة عن الخلود والذين يغامرون بأنفسهم عشر مرات في اليوم كي يستمتعوا بما صنعته أيديهم من اختراعات جديدة تفعل ألف سحر مما لم يحلم به سحرك ... والذين سخروا أنفسهم للاطفال والاغبياء .. والذين أضافوا الى كل هذه المعجزات أعمالا لا يمكن تصوّرها ..

ميفيستوفيليس : هل يصنعون الذهب ؟

فاوست : سوف يصنعونه قريبا ... بالرغم من أن الذهب نفسه مشرف على الموت .. هاهم يحصلون على معادن أكثر قيمة منه ... أكثر مائة الف مرة .

ميفيستوفيليس : ماذا ...! عجل الذهب(١) ..!

فاوست : غدا يصبح أرخص من العجل الحقيقي

ميفيستوفيليس : هل يبعثون الموتى ؟

فاوست : ليس لهم أقل رغبة في هذا ...

ميفيستوفيليس : لماذا ؟ كانت هذه قضيتهم الكبرى

فاوست : لانهم وجدوا أن كل انسان يجب أن يأخذ دوره وأن الداخلين إلى هذه الدنيا يجب أن يتبوأوا أماكنهم

ميفيستوفيليس : آه ... إنهم أقوياء اليوم . اخشى أن يكونوا قد ادركوا هذا ... انه لامر خطير .. أوه .. كنت أرى جيدا من

(١) اشارة الى العجل الذهبي الذى كان يعبده العبرانيون فى سيناء وورد ذكره في القرآن الكريم ـ المترجم .

خلال نظرتى الخاصة إن كل شيء يعزى إلى الشيطان ..
الناس يرتدون ويتبدلون ويلجأون الى الاعتراف كى يتزوجوا أو ليكتبوا كتابا. ويعبثون بالديانات كما يعبثون بطائرات الورق.. ويعمّدون فى الهند كى يلبسوا سراويل ، وفى باريس كى يدخلوا الأكاديمية .. ويتزوجون ويطلقون ويتزوجون مرة أخرى طالما أن الكنيسة تفقد صوابها بين الحل والعقد والزيجات المختلطة لزوجات حقيقيات وغير حقيقيات .. أنها لم تعد تفرق بين الخليلات والزوجات ، بين من دخل بهن وبين من لم يدخل بهن .. آه .. لقد أصيبوا فى روما بالصداع (١) ... أما فيما يتعلق بى فأنا مضطر الى اعادة تطبيق شريعتى .. خاصة مع الامريكيين الذين يمتلكون وسائل ضخمة .. إنه لشيء مخيف .

فاوست : يالك من شيطان بائس

ميفيستوفيليس : نعم..ويالهم من آدميين بائسين ! كان الشر جميلا جدا فيما مضى .. كنت فيه الذكاء والأساس . وكان الالم والسرور بالنسبة لى كوترى فيثارة خاصة أعزف عليهما كما كان يفعل أورفى (٢)

---

(١) اشارة الى البابا .

(٢) ابن ملك تراقيا من كاليوبس ويقال انه ابن ابوللو من كليو . كان يعزف لتشجيع الحياة فى الصخر . وكانت الوحوش تسكن اليه وتجتمع من حوله لتنصت الى عزفه . وكانت له زوجة اسمها يوريديس مصدر الهامه ومعين عبقريته وجمال لحنه . سئل مرة : ماذا تملك من الدنيا يااورفى ؟ فاجاب قيثارتى ويوريديس . وقد خلد هذا الاسم الاسطورى فى لوحة للرسام الفرنسى بوسان باسم « أورفى ويوريديس » وفى دراما غنائية « اوبرا » وضع موسيقاها جلوك باسم « أورفى » . وفى أوبرا أخرى وضع موسيقاها اوفنباخ باسم « اورفى فى الجحيم » ـ المترجم .

فاوست : لم يعد هناك جمال . لقد انحط الشر ... أنت معى اذن ...
هل رأيت ماينتظرك إذا بقيت ذلك الشيطان القديم صاحب الغوايات القديمة ؟ إنهم فى السماء يعتبرونك غير مرض ولم تعد تصلح إلا لحراسة الأسوار فى أعمق أعماق جهنم ... وحينئذ ربما لا تترك هنا أية ذكرى إلا فى مسرح الدمى بحكم الصنعة .

ميفيستوفيليس : بعد كل هذا ... من المحتمل ألا أصلح لشىء .... ربما اعتمادا منى على فكرة خاطئة ...

فاوست : وما هى ؟

ميفيستوفيليس : ليس الناس بلهاء حتى يلقوا بأنفسهم الى التهلكة بوسائلهم الخاصة .

فاوست : أنا لا أرى شيئا فى الحقيقة لا يجعل الحق فى جانبك .. لكن هل قررت ؟

ميفيستوفيليس : هيا .. ليكن .. موافق
(يكشف عن ذراعه المكسوة بشعر كثيف)

فاوست : كف عن الحماقات .. لا داعى لأخذ دم .. المسألة لاتتعدى الشكليات الطبية .. تكفى الاوراق والتوقيعات ... الكتابة تنتشر اليوم أسرع من الكلام الذى ينتشر بدوره أسرع من الضوء .. لم يعد أحد يرغب فيما يكتب . اذن اتفقنا .. أنادى الفتاة ؟

ميفيستوفيليس : لا داعى .. حدث .. هاهى آتية تلهث ... لا تزال فى جعبتى بعض الحيل الصغيرة .. هل تسمعها ؟

(تسمع لوست وهى تصرخ)

المنظر الثالث

فاوست ــ ميفيستوفيليس ــ لوست

لوست :أستاذ ... أستاذ ... أدركنى (تدخل) تعال حالا ... ناد كل خدمك

فاوست : ماذا حدث ؟

لوست : النار ... فجأة اندلعت فى المعمل ... تعال حالا .. كل شىء يشتعل

ميفيستوفيليس : لا داعى ... انتهى

لوست وفاوست (معا) : آه .... آه ...

ميفيستوفيليس : نعم

لوست : آه .... فهمت ... هو أنت .... ياسلام (تنحنى بالتحية) أنت لا تخيفنى أبدا .

ميفستوفيليس : آمل هذا ياصغيرتى الجميلة .. لو أننى أخيف فلن أكون شيطانا مطلقا .... فقط أستطيع بث الرعب ...

لوست : أوه .. أعتقد أناك تستطيع التحول الى شخص مفزع .. إلى حيوان مخيف ،إلى غول ، إلى أخطبوط ، الى قرد .

ميفيستوفيليس : انا لا أظهر دائما بمظهرى المخيف .. وجدير بالانسان أن يكو نأقل خوفا حينما أبدو بهذه الهيأة.

لوست : لكن .... لا يخامرنى أى احساس بأننى حقيقة أرى الشيطان. لن يكون عندى ما أحكيه عنه .. أنت ظريف جدا هكذا .. مثل كل الناس .

ميفيستوفيليس : حذار .... لا شيء أشد خطورة من كل الناس .. فلتصغى إذن قليلا إلى مايقوله كل الناس عن كل الناس .

لوست : أوه .. أعرف .. قول مملوء بالسم بكل تأكيد

ميفيستوفيليس : (بصوت منخفض) ولو عرفت مايقوله كل الناس عنك ..

لوست : عنى ؟ ماذا يقولون ؟ لا يستطيعون قول أى شيء .. ماذا يقولون ؟

فاوست : لاتثر حفيظتها ضدى ياروح الشر .

ميفيستوفيليس : أنا لا أريد سوى إعطائها فكرة ما من عند الشيطان .. إنطباع بسيط .. ياصغيرتى الجميلة .. هل تصرين دائما وأبدا أن يكون لديك خوف منى ؟

لوست : لا أدرى ياسيدى

ميفيستوفيليس : اقتربى منى ... اقتربى ... عجبا ... ها أنت الآن تقتربين منى بمحض إرادتك ... انظرى فى عينى ... بتركيز جدا ... أكثر تركيزا

(تصدر من لوست صرخة فتخفى وجهها)

فاوست : حذار .. لا تعذبها .. ماذا أريتها فى مقلتيك ؟

ميفيستوفيليس : شىء بسيط جدا ... أعماق أعماق تفكيرها

لوست : آه ... يالله

(تسقط على كرسى)

فاوست : أشت

(تقفل فمها)

لوست (مرتعشة) : أظننى رأيت شيئا من الجحيم

ميفيستوفيليس : لا .. لا ... اقتربى منى قليلا مرة أخرى أيتها الفتاة البللورية.
أريد رؤيتك فى شفافيتك .... بطريقتى .. تعالى .. تعالى
(تتجه اليه كالمأخوذة) هنا هنا ... أديرى ظهرك لى هنا ..
هنا ... الآن لا تخافى ... لا خوف ؟ لا خوف مرة أخرى ؟
هنا .. سأمسك قفاك الآن .. هنا ... سوف لا ألحق بك
شرا ؟ أنا لا أقترف الشر أبدا .. هنا ! بخفة .. بخفة جدا ...
هنا (كل اطرافها ترتجف) هل ألحق بك شرا ؟ .. لا
(ببطء بحيث يمر وقت بين كل مقطع وبصوت عميق) ه لذا
المساء ... ه .... لذا المساء نم ... ت فى الساعة الثانية
(صمت) كان الجـ .... و ... حارا ... حارا جدا ...
نم ..... ت .... نم .... ت على ظهرك .. على ظهرك ..
بملء جفنيك .... بملء ... جفـ ... نيك ... وحلم .. ت
أن (يسر فى أذنها وهى تتقصع تحت قبضة يده) عظيم ..

ثم ... استة .... يقظت .... اس ... تيه .. قظت ...
أســـ ... تيه ... قظت ... اس .. تيه ... ســقظت ..
اس ... تيه ... قظت .... وأنت .... وأنت ...
(يسر لها بشيء فى أذنها ثم يخلى عنها فتركع على ركبتيها ثم على يديها وتقف دامعة العينيين وتنتحب ثم تهرول مخفية وجهها المحمر) .

فاوست : هذه نذالة ... انك تقززنى ! لقد سحقتها مع أننا سنعمل جنبا الى جنب ..

ميفيستوفيليس : عجبا ... هذا شيء تافه ... شهوة مجنونة (يهز كتفيه) ...

ستار



الفصل الثانى

في حديقة منزل فاوست

المنظر الأول

فاوست ــ تلميذ شاب

فاوست : (بمفرده وهو يكرمش ورقة ويفردها) : لا ... بالتأكيد لا ... لا يمكن أن أقرر بيع قطعة الارض البسيطة هذه وهذا البيت المتواضع .. أحتفظ بهما ... حجة قاطعة على كل حال ... أحتفظ بهما .. يجب أن أتخلى عن هذا .. أحتفظ بها .. اذن هي تحتفظ بى .. لكن اذا تغلب مبدئى على جمال المكان فسأتمسك إذن بمبدئى .. مبدئى يمسكنى .. لكن اذا بعت فلابد أن أشترى شيئا آخر .. يالها من بلبلة ! بمجرد أن تتكون العادة تقيد وتخاص (يجلس) أنا أحب كل هذه الاشياء .. كل نبتة من هذه النباتات التى أنظر اليها وقتما أشاء واتجاهلها حينما تعجبنى ... آه لو كانوا يعلمون أننى اذهب كل صباح لأحيي شجرة الدلب (١)

(١) شجرة تنبت فى اواسط اوروبا وليس لها نظير هنا .

الجميلة وأقبلها من كل قلبى ... هذا النذل موثق العقود ..
هل يظننى لا أعرف قراءة ورقة الدعوى ؟ يالرجال
القانون هؤلاء !
(يدخل التلميذ)

التلميذ : أستاذى .. يا أستاذى (تحية تبجيل) هل هذا فى الامكان !
إنى أحييك باحترام ... آسف .. أنا فى غاية الانفعال .

فاوست : مرحبا بك أيها السيد ... لا تنفعل أمام أى إنسان

التلميذ : أنت لست كأى إنسان يا أستاذى ... هل فى استطاعة أى
إنسان أن ينجز ما أنجزت ... كل هذه الاكتشافات ...
وهذه الكتب التى قرأت معظمها وأعدت قراءته فى الطرف
الآخر من هذا العالم الذى أتيت منه ؟ لو أنك تدرك منزلتك
بالنسبة لى وبالنسبة لكثيرين غيرى ! لا تؤاخذنى إذ أعبر
لك بهذه السطحية عن عمق ما اشعر به .. لم أستطع مقاومة
الرغبة فى رؤيتك والتأكد من وجودك يا أستاذى .

فاوست : أنت آت من الطرف الآخر من العالم ؟ انه بعيد ... أجلس
أرجوك .

التلميذ : لا يا أستاذى ... لا تؤاخذنى .... لن أجلس فى حضرتك

فاوست : أين هذا الطرف الآخر من العالم ؟ أرغب جيدا فى القيام
برحلة تؤكد لى أنا أيضا وجودى ... لقد قمت بجولات
أخرى اعادتنى فى النهاية الى هذا المقعد وعلمتنى أشياء
كثيرة .. لكنها لم تعلمنى شيئا عن نفسى لم أجده أولا
فى غرفتى أو فى هذه الحديقة .

التلميذ : جميلة هذه الحديقة ... لكن لا بد أنك عرفت مباهج كثيرة فى هذا الركن الصغير الهادىء ..

فاوست : أعرف فيه كل يوم بعض المضايقات الصغيرة ... القواقع والحشرات الصغيرة وكل هذا الكون الصغير الذى يقاوم ..

التلميذ : ورغم هذا يا أستاذ فانك تعيش هنا بين عبقريتك الخلاقة وعظمتك الآيلة اليك من رحابة عالم الفكر

فاوست : نعم نعم ... أعتقد أن عبقريتى ماهى إلا تعودى أن أفعل ما أستطيع . ولنفرض بناء عليه أن هذا بالضبط هو ما يطلق عليه الناس كلمة « عبقرية » ،إننى معجب بان تكون العبقرية قد اتخذت شكلا منتظما ووتيرة واحدة للعادات وان تكون قد خلقت منى — على حد قولك — أو بواسطتى من الساعة كذا إلى الساعة كذا كل يوم تقريبا ... لقد خلصت من هذا تقريبا إلى أن ليس عندى عبقرية أو على الأصح هذه العبقرية التى يتحدث عنها الناس ليست كما يتصورونها .. وعلى أية حال فانه لمن العجيب أن توزع هدايا القدر على كثير من المغمورين ..

التلميذ : أوه .. ماذا تقول يا أستاذ .. ! ؟ لا شك مطلقا فى أنك مشعل هذا العصر بعينه ... كل الشباب يعلنها بصراحة ..

فاوست : هذا العصر ؟ ربما .. لأن هذا العصر لا يساوى شيئا، ومشعله هو ذلك المشعل الذى هو أهل له . أما الشباب .. فاسمح لى .. متاحة له بالضرورة كل فرص التغرير بنفسه .

التلميذ : حقيقة أنا فى غاية الخجل من تواضعك وبساطتك يا أستاذ .. كما أننى أشد تأثرا مما كنت عليه حينما قرعت بابك .

فاوست : لا أظننى ياصديقى متواضعا .. وآمل ألا اكون بسيطا .. لكننى متعب من كل مايعوق الوجود ... إنه لمرهق ومقزز أن يتصور الانسان نفسه عظيما . والذين يسرهم هذا يثيرون الاشفاق .

التلميذ : لكن المهم يا أستاذ انك تدرك العمل المدهش الذى قدمته إلى الانسانية . إنه ماثل للعيـان لا يموت . يكفى كتابك « فى التهذيب » وهذا البحث الفذ فى « هيكل الروح » والذى لا يفارقنى أبدا وأحفظه عن ظهر قلب ... تفضل !

(يخرج كتابا من جيبه)

فاوست : خرقة بالية ... أعترف أننى لو كنت أحب كتبى فانه يسرنى أن أراها وانا فى تلك الحالة النبيلة من التعب والقذارة .

التلميذ : ألا تحبها ؟

فاوست : لكن كيف تريد أن أحب مالايستطيع إلا أن تعكير صفوى ؟ ألا تفهم ؟ شف : لو أننى فتحت كتابا من كتبى وتذوقت بعضه أو أعجبت به ، فاننى أشعر فى هذه اللحظة باننى أقل منزلة من كاتبه ... فأقول فى نفسى : لن تكتب اليوم مثل هذا ... أنت عين نقصك ... إنه إحساس مؤلم . وإذا بدا لى النص ، على العكس ، غير معقول أو مكتوبا

بأسلوب لا أستطيع احتماله، فانني اخجل لأنى ذلك البائس الذى كتبه ولات حين مهرب .

وفى كلتا الحالتين ، هذه التى أكونها أو التى كنتها لابد من البكاء . واللحظة الحاضرة دائما ذات وجهين كوجهى يانوس(١) كليهما محزن للغاية .

التلميذ : انك توئسنى ... من يقول إننى أجد فى نفس فاوست النابه هذه المرارة العميقة ... إنك تفسر كل ما يحبه الانسان تفسيرا غريبا يافاوست .

فاوست : أنا ياصديقى فى الحقيقة لا أحب الماضى ولا أكرهه كما لا احب كتبى أو أكرهها .. تلك الكتب التى هى قطعة منه وثمرة له .. لم تعد هذه الكتب جزءا منى ... لم أعد أعيش فى الماضى ... هل للأنا ماض ؟ ... عشت ... ثم هأنذا أكثر من عشت ... كيف تفسر هذا ؟ أنا لا أعرف سوى تقديم صورة لك عن مصيرى الشديد الغرابة .. هب أن الحياة تتمثل فى نوع من الحركة تبدأ مسيرتها من المكان واليوم اللذين يولد فيهما الانسان وتنتهى عند المكان واليوم اللذين يموت فيهما ... شمس أية حياة تشرق من نقطة فى الافق وتتخلص من الضباب وأطوار

---

(١) يانوس Janus شخصية اسطورية لاقدم ملوك لاتيوم الرومانية منحته الالهة قدرة معرفة الماضى والمستقبل فصوره الرومان بوجهين وبنوا له معبدا لايفتح أبوابه الا فى حالة الحرب ويظل مقفلا طوال فترات السلم ؛ الامر الذي لم يحدث سوى تسع مرات في مدى الف سنة .

الطفولة، ثم يطلع يوم المشاعر الكبير برغباته ومعارفه وعواطفه وأفكاره ... ويتحدد الضوء ويبهر ... ويصل نجم القوى واليقين إلى أعلى نقطة فى مساره ثم يتدهور ويختفى . إذن فالانسان نوع من الزوال لا يعيش يومه الفذ إلا مرة أخرى ، ذلك اليوم الذى ليس إلا حياته . والشمس فى حاضرها لاتشرق مرتين أبدا ولا تضىء قط الا خيالات غير متناظرة بين جدة مولدها وجدة موتها ... أما أنا ياصديقى الشاب ، فقد رأيت تدخل القوى الخفية ، كما رأيت يوم حياتى يسير فى مصيره المقدر له . لقد كشف لى وجه الطبيعة الآخر والطرفان المتناقضان للخلق النقاب عن نفسهما ... وقمت بجولة حقيقية لهذا العالم الواقعى ، ثم عدت مرة أخرى إلى العصر مثقلا دائما بعبئى لاستأنف الحياة ... وهأنذا أعيش .. أعيش وأرى وأعرف إن كانت الحياة رؤية ومعرفة وتكرارا للرؤية والمعرفة .. كنت تحدثنى عن العبقرية وقلت لك إنها لا يمكن أن تعنى فى نظرى شيئا آخر أو قيمة أخرى غير العادة . أن الفكرة التى تطرأ على وتكون أندر فى الندرة وأشد خرقا للمألوف لم تعد تعطينى انطباعا لشىء جديد .. وتبدو لى ، بمجرد بروزها أنها استخدمت وأعيد استخدامها مرارا ... وبعد ... ماذا تستطيع العظمة أن تفعل من أجلى وأنا أعلم أنها نتاج هؤلاء الناس الذين لا يعيشون غير يومهم اليتيم ؟

التلميذ : كل ماتقوله يا أستاذ يحملنى إلى دائرة حقائق صعبة قاسية

حتى أنني لم أعد أجرؤ على الحديث معك فى مؤلفاتك
أو فى نفسك ... وكل ما كنت أعتقده فى هذا ، كان
بعيدا كل البعد عما يجب أن أعتقده ... كنت مفعما
بالأسئلة ... وكنت آمل الحصول منك على إجابة تقرر
مصيرى وتطمئننى على أفعالى بمجرد أن تخرج من فمك ..
لكنى أخشى الآن انك لا تستطيع قول شيء يتعدى آخر
الأمر ما أستطيع تطبيقه على نفسى ... وهأنذا أرى جيدا
أن مؤلفاتك نفسها لا تعنى فى نظرك ما تعنيه فى نظرنا ،
وفى رأيك ومن واقع كلماتك أن ليس التأليف الا لهوا
وأن المؤلف مقامر مدمن مل مواهبه ولعبته فى كل مساء
وفى نفس الساعة وعلى نفس المنضدة ! أما بالنسبة لنا فان
ماتفعله يبدو فى نظرنا ثمرة إنجاز جرىء دائما ،مقنع دائما
يهاجم ماهو عالق بالنفس ولا يمكن الامساك به ، بل نحسه
لقاء ثمن باهظ . وهو يختفى إلى مالا نهاية عن كل انسان
آخر فيما عداك كما يختفى عن الغريق اليائس طوق النجاة وهو
المنقذ، يقذفه بعيدا عنه نفس الدافع الذى يدفعه الى الامساك
به ... أما انت فالناس يقولون إن قولك لا يخالف أفكارك
وإنه دائما نقى ، دائما مدعم بما يحتاج اليه من الدقة ،
مسند بما يحتاج اليه من الانسجام ، بقصد استشارة النفوس
والزامها الاستفادة من القوى والوضوح المركبين فيه
دون إدراكهما ... هذا القول الجرىء الذى لايتعرض
إلا لما يشق التعبير عنه فيرده دائما إلى مقاصده.

فاوست : لكم تتحدث جيدا .. الكن إن أنا أصغيت اليك، فستطلب منى نصائح ياصديقى الشاب . غير أن أحسن النصائح لاتساوى أقل مغامرة ، ولا تجنب قط أحدا زللا ، إن لم توقعه فى زلل آخر . أقسم لك أنه يجب أن يخطىء الانسان .. ولا شىء أجدر مما يؤخذ عن تجربة الغير .. كل السياسيين قرأو التاريخ ... لكن يقال إنهم ما قرأوه إلا لكى يستمدوا منه فن تثبيت أقدام الكوارث .

التلميذ : ألا تقل لى شيئا أستطيع حمله معى، ويكون بالنسبة لى أكثر قليلا من ذكرى عزيزة ؟ كنت أرجو عندك كمن هو ملدوغ بثعبان الحكمة فى جسد روحه — حقنة مصل لها تأثير عميق مدهش .... قل لى فقط كلمة أو حكمة صغيرة أستطيع أن أقولها .وأرددها لنفسى على سبيل تذكرك .

فاوست : خذ حذرك من الحب

التلميذ : أتتهم الحب ؟

فاوست : لا أقول هذا .

التلميذ : اذن ماذا تعنى ؟

فاوست : سوف تعرف ما أعنيه ذات يوم ... أنا لا أقصد بهذا نصحا ... كل ماهنالك هدية صغيرة من أربع كلمات أقدمها إليك .

التلميذ : هل أتجاسر وأطلب اليك فضل كتابتها بيدك على كتابى ؟

فاوست : لم أعد أكتب قط .. أملى ... وليس هناك ما أعرفه سوى أن توقيع اسمى بيدى قد كلفنى غاليا جدا فى الماضى ، وفى شيخوختى .. انتظر (ينادى) لوست ! تعالى بأدوات الكتابة ! وداعا ياسيدى ... أعتن بصحتك وأرجو لك سلامة الوصول الى بلدك ..

(يخرج من الحديقة وينحنى التلميذ انحناءة تبجيل وتوقير) .

المنظر الثانى

التلميذ وحـده

(يقوم بإشارات وحركات إيمائية لكفه عن الكلام مجبرا .. اشمئزاز .. هز كتفين .. الخ) .

التلميذ : أما إنه لساحر محنك ! رفض حتى أن يعطينى توقيعه .. لم أعرف بأى شىء أرد عليه ... أنه يضايقك تماما ببساطته .. لابد وأن تكون هذه هزلية .. آخر صيحة فى هزليات النوع الراقى .. ضحك على بجولته فى العالم وبنصيحته الأخيرة ... لم يوجع دماغه ! (مقلداً فاوست) « خذ حذرك من الحب » باللاتينية كافى أموريم Cave Amorem لا قيمة لها باللاتينية . أو ربما الأصح كافى أموريس Cave Amores لا .. كافى فينيرم Cave Venerem هذه أحسن .. لكن كافى أموريم تصرف

الذهن إلى كهف الحب .. ربما يكون هذا اسما لطيفا لعلبة مظلمة من علب الليل مخصصة للنساء .. « خذ حذرك من الحب » هذا الفاوست ساخر مقدس ... إنه ماكر يفرض مكره .. لكن هذه النغمة المرورة ... لايلمس حتّى القلم.. لو كنت فى مكانه لكانت لى وسائل أخرى .. ليس طبيعيا أن يكون الإنسان طبيعيا جداً .. أن يكون فوق الطبيعى... لا .. وحق ايمانى أحب الرجال العظام ذوى المظهر الرجولى النبيل بالجبهة العريضة والأصبع الآمر والعين .. العين كل شىء هنا ! النهاية ، كل مايحتاجه الإنسان كى يظهر كيفما يريد أن يظهر ... لكننى أضايف نفسى هنا .. بحق الشيطان ماذا تفعل هذه السكرتيرة الضائعة هنا ؟

المنظر الثالث

التلميذ — ميفيستوفيليس

(يظهر مفيستوفيليس خلفه)

ميفستوفيليس : هل طلبنى السيد ؟

التلميذ : (قافزاً) آه .. أنت سكرتير الأستاذ ؟

ميفستوفيليس : لو كان هذا يروقك ياسيدى .

التلميذ : إنه من أجل كتابة بضعة كلمات تفضل بارتجالها من أجلى

علي هذا الكتاب .. من أجلي ... هيه ؟ لكنه أخبرني بأنه لا يكتب أبداً .. وبأنك أنت ..

ميفستوفيليس : نعم .. القلم بثقله ... أنا أقلد كتابته القديمة بشكل مدهش .. كان الواحد في الحقيقة لا يرى فيها سوى أحرف من نار .. أما كتابتي أنا ، فمتأججة بعض الشيء فقط .. هل أنت مولع بجمع خطوط المؤلفين ؟ بيني وبينك تستطيع أن تبيع تماما ما سأكتبه لك ... إن الناس يتنازعون فيما بينهم خطوطنا ..

التلميذ : هل تظن هذا ؟ عجبا ... وحق إيماني سوف أحتفظ حتى الموت ولو بسطر واحد يكتبه هو بيده على هذا الكتاب ... لكن اسمح لي ... إذا كنت أنت ..

ميفستوفيليس : وحياتك ما لم يكتب هذا السطر الثمين جداً بيدي أنا فلن تبيعه برواج أبداً .. إنه سطر انساني . في الحقيقة أنا لا أعرف كيف أنصحك .. ألا يكون من المستحن ألا تحتفظ حتى الموت بأقل كلمة من كلماتي ؟ بيني وبينك .. لوعرف الناس من الذي كتب هذا السطر فسوف ترى ما يساويه في المزاد أنا لا أعرف إلا خطا واحداً ربما يبزه في المزاد العلني ... إنه أصل أبيات شعرية قليلة ... قديمة جداً .. جافة محفورة منذ زمن بعيد جدا جدا على صخرة مصقولة.

التلميذ : أي شعر هذا ؟

ميفستوفيليس : الوصايا العشر .. مخطوط يتيم لمؤلفه .

التلميذ : آه .. أهكذا يا سيدي السكرتير .. ! كفاني هذا .. ياله

من بيت هازلين هذا البيت .. هل يسخر منى كل الناس هنا ؟ قل لى إذن .. هل أنت وسيدك تسخران هكذا من الناس ؟ فلتذهبا معا إلى الشيطان !

ميفستوفيليس : هاهى تقال جيداً .. لكن ياسيدى أحلف لك بحق سلامك الأبدى أنه لا شيء أكثر حقا أو أكثر جدية مما سمعته من فم الأستاذ أو من فمى . اسمح لى، أنت جئت هنا بروح لم تكن معدة إلا لسماع ما سمحت به لنفسها أن تسمعه . ومن هنا جاء عدم الارتياح ، لعدم وجود ماتصوره الإنسان سلفا . لكن .. وهذه أيضاً قالها إنسان آخر .. الانسان مجنون بما يبحث عنه وعظيم بما يجده ... ولاشيء أعظم من أنه لا يجد ... من أنه لا يجد ما يصطدم به ... وبهذا الشكل أنت تصطدم بى ! لكن ماذا يجب أخيراً أن أكتب على كتابك ؟ .

التلميذ : لا شيء سوى هذه الكلمات الأربع « خذ حذرك من الحب » ... ليس فيها عميق كبير .. هيه ؟ وليست جديدة .. ظن انني ساذج .

ميفيستوفيليس : هل تعتقد أنه يشتغل حسب المقاس ؟ إسمع ... الدكتور دائما يفكر قليلا أمام الأشخاص الذين يتحدث اليهم ... وهو يعرف عنهم الكثير حتى أنه لم يعد يستطيع الحديث إلى شخص بعينه على انفراد . إنه يتحدث من أجل البشرية . فهمت ؟ ربما من أجل ماهو أكثر بعداً من هذا بعض الشيء ... لكن يجب أن أكتب لك هذه الكلمات الأربع ..

ولو أردت، فى استطاعتى أن أضيف اليها قدراً لا يذكر من العمق ... إنه تخصصى ... أنا مشهور تماما بالضحاله.. تعال .. تعال ! قلمى ليس معى هنا .. هيا بنا سويا « خذ حذرك من الحب » تجد هذه العبارة بسيطة جداً ؟ أراهن أنك جديد تماما فى هذه المادة ... لا تخجل ... لا يجب أبدا الخجل إلا فيما بعد ... هيا ! سوف نتحدث قليلا فى كل هذا وفى أشياء أخرى كثيرة وفى مجموعة أخرى من الأشياء .

(يأخذه من ذراعه بقوة)

التلميذ : ليس بقوة جداً هكذا ... إنك ترفعنى .

ميفيستوفيليس : هيـا ..

(يخرجان) .

المنظر الرابع

لوست

(تظهر فى شرفة واطئة تفتحها بعنف)

لوست : معذرة يا أستاذ .. هأنذا ... عجبا .. أنه ليس هنا ! يا أستاذ .

(تختفى ثم تظهر خارجة من المنزل)

على أية حال خيل إلى أنه نادانى ؟ هل هو .. أوربما الآخر.. أوربما أنا ؟ شعرت بأنى فاقدة لوعيي بعض الشئ .. مر وقت دون شك ؟ أظن ، ولا حتى دقيقة واحدة .. ولا يوجد أحد ... لكنى لا أعرف ما اذا لا يوجد أحد حقاً .. ؟ كل شيء أصبح غريبا فى رأسى منذ أن وطئت قدماى منزل سيد العقل العظيم هذا ... كثيراً ما يعترينى شعور بأنه يوجد أحد فى الهواء ، بين الستائر ، بين الأشجار لا يتركنى بمفردى أبدا .. كما يبدو لى أيضاً أنه لا توجد نفسى بداخلى . لم أعد أستطيع التفكير فى لاشيء . هل يوجد كثير من الفكر هنا ؟ ربما أشعر كثيراً أن كل ما أستطيع التفكير فيه شيء قليل جداً .. لا بد أن روحى تحس بهذا جيداً للدرجة أنها لم تعد تحاول حتى الحديث مع نفسها ... النهاية .. ربما يكون هذا نوعا من الفراغ النفسى ؟ ربما يكون فقط ما يطلب دون انقطاع الشيء غير الموجود ؟ لكن أين هو إذن ؟

(تنادى فى جميع الجهات)

أستاذ ... يا أستاذ ..

المنظر الخامس

لوست – فاوست

(يصل فاوست من الحديقة ممسكا بوردة) .

فاوست : هأنذا يا آنسة ... خذى .. وردة لك .. هاتى بسرعة أدوات الكتابة .. أريد أن أملى هنا .. الأفكار تتوارد بغزارة ..

لوست : أشكرك يا أستاذى ! يا لها من وردة نضرة يتمنى الواحد أن يمضى حياته كلها يعب من هذه الوردة وهو مغمض العينين كل ما تضوعه فى الوجه من أريج وفتنة .. أوه يا له من شذى قوى حلو ..

فاوست : نعم .. غير أن الأفكار لا تنتظر .. هل أنت مستعدة ؟ ضعى هذه الوردة هناك .

لوست : لدى هنا كل ما أنت فى حاجة اليه ... ورق .. أقلام .. (تضع الوردة فى صدرها) .

فاوست : (وهو يجلس) : هيا ... أريد أن أملى بلا ترتيب .. الأفكار لا تساوى شيئا من ناحية الشكل .. لكن لابد من الامساك بها ..

لوست : هأنذا مستعدة يا أستاذ .

فاوست : عظيم عظيم .. لكنى لست هنا بعد .. (صمت) جو رائع هذه الأمسية (لوست تكتب) .

لوست : (تعيد القراءة) ، رائع هذه الأمسية .

فاوست : لا .. أنا لم أمل بعد .. أنا أعيش .. جو رائع هذه الأمسية ..
عظيم جدا .. حاو جدا .. جميل جدا حتى الأرض حانية .

لوست : هل على أن أبقى ؟ هل تريد أن تظل بمفردك ؟

فاوست : لا .. هذا كثير على إنسان بمفرده .. اجلسى هناك .. يجب
أن تبقى .. يجب أن تستمتعى معى ، كما أستمتع أنا بالعبير
العذب لهذه الأرض المخضلة وبالانبعاثات الغالية التى تنفحها
نهاية هذا اليوم كل ورودى . إن الروائح الذكية فى نظرى
وعود .. وعود طاهرة لا أكثر .. لأن لا شيء يفوق متعة
الوعود خاصة .. لا أكثر .

لوست : ألا ترغب حقيقة فى العمل ؟

فاوست : سوف نعمل فيما بعد ... هناك لحظة من التعقل تبدأ بدلا
من العمل .. لحظة غالية جداً تستحوذ على كالأنغام المنسجمة
التى تذهب أكثر بعداً من مدى رغبة السمع وتجعل الإنسان
يذوب ويرتد إلى شيء لا أدريه ، توالد مختلط لذيذ لقواه
وضعفه .. كل شيء يحيط بنا يغنى ... إن أجمل ما فى
هذا اليوم يغنى قبل أن يموت .

لوست (فى تدله) : لكن أنت الذى تغنى يا أستاذ ... تبدو كآله
هذا المساء ... تبدو أكثر من عائش ... تبدو أنت ذاتك
لحظة من تلك اللحظات المملوء فى عجب بكل القوى التى

تقاوم الموت .. وجهك هذه الساعة من أكثر وجوهك جمالا . إنه يعرض على ضوء الغروب الغنى ، ما استطاع أن يضيئه بأكثر روحانية وأكثر نبلا . لا ، لم أكن رأيتك قط مادمت لم أرك أبداً بهذه الرقة وهذه النظرة الأكثر عظمة من أى شيء ينظر ... أسوف تموت ؟ عيناك تبدوان تتأملان الكون فى هذه الحديقة الصغيرة التى تقدرانها حق قدرها ، وتبدو أمامهما كالحصاة الصغيرة يلتقطها أحد العلماء فى راحة يده ويحدثها عن عصر من عصور العالم .

فاوست : الكون لا يهمنى ولا أفكر فى شيء .

لوست : ماذا تعرف عنه ؟

فاوست : أقول لك إننى لاأفكر فى شيء ... لكن هنا لابد أن يتقرر شيء ما ، أعرفه على وجه التحديد ... وهو أنى لاأفكر فى شيء .

لوست : ماهو ؟

فاوست : شيء ما ... وربما .. شيء آخر ... كيانى لم يعرف بعد.. وروحى لا تخبرنى بشيء ... إنها تغنى فقط هذه الساعة ... ساعة فيض المساء .

لوست : عجبا .. ولا أنا .. لاأفكر فى شيء .

فاوست : الجو جميل جدا هذا المساء .. لا شيء آخر يستحق التفكير . كم سنك ؟

لوست : كان بامكانى أن أتزوج منذ خمس سنوات :

فاوست : كان بامكانى أن أكون فى عداد الموتى منذ زمن بعيد .. جداً .. كنت شاباً يا لوست .

لوست : لكنك لم تكن قط جميلا جداً .. أنا متأكدة.

فاوست : كنت شابا يا لوست .. ثم كبرت .. ثم شابا مرة أخرى .. وارتدت أكثر من عالم .. لكنى وزنت رغباتى وتجاربى فى الوحدة .

لوست : فى الصحراء ؟

فاوست : لماذا ؟ الوحدة انتاج يصنع فى كل مكان .

لوست : والآن ؟

فاوست : وزنت كل شيء .. وكان الوزن الإجمالى لاشيء .. فعلت الخير واقترفت الشر ، فرأيت أن الخير ينبع من الشر والشر من الخير .

لوست : جولة كاملة إذن ؟

فاوست : نعم .

لوست : والآن ؟

فاوست : والآن هأنذا أكون ما أكونه ولا أظننى شيئاآخر .. كان لابد من آمال كثيرة وخيبة أمل وانتصارات وكوارث لبلوغ هذا ... وقد بلغته بشيء أكثر من العقل .. كان لابد أن أبلغ هذا بالعقل وحده ..

لوست : يا أستاذ .. أنا لاأعى كل ما تقول .. أنت تتحدث ولا تحدثني .. لكننى لست فى حاجة إلى أن أفهم .. ليس فى

استطاعتى هذا المساء أن أتابع أية فكرة .. لكنه صوتك الذى يجعلنى أتابع .. كالموسيقى .. إنه يحملنى إلى حافة الدموع .. أوه .. قل كل ماتريد .. إنه مؤلم جدا تقريباً .. لى رغبة فى أن أتألم عن أن أكون سعيدة .. أنا سعيدة جداً رغم أننى أختنق .. لا أجد كلمات أو أى شىء يستطيع تفريج كربة قلبى هذه وكربتى .. أوه ! ثم هذه الطيور المزعجة بعيداً فى الجو .. إن صياحها الحاد يقطع سعادتى .

فاوست : (لنفسه) ، هل أنا فى أوج فنى ؟ أنا أعيش ولا أمارس غير العيش . إنه عمل ... أخيراً انتهى ماكنته إلى بناء ما أكونه . لم يعد لدى أى اهتمام آخر .. هأنذا الحاضر بعينه .. التأم شخصى تماما بحاضرى فى تبادل مع مهما يحدث ... لم تعد هناك بقية .. لم يعد هناك عمق ... اللانهاية تتحدد ... ما لم يوجد لن يوجد .. وإذا كانت المعرفة هى ما يجب استيلاده عن طريق العقل فها أنت يا فاوست معرفة غزيرة نقية ووفرة وانجاز . إننى هوأنا .. فى أوج فنى ... فى العصر الذهبى لفن الحياة .. هاهو أجل أعمالى : الحياة . أليس هذا كل شىء ؟ لكن لابد من إدراكه . ليس المهم أن يجد الإنسان نفسه فى هذا المستوى الرفيع للوجود دون أن يدرك كنه هذا الوجود . فكم من المخاطر والتعقل والأحلام والأخطاء مر بها الإنسان للوصول إلى حرية أن يكون الإنسان مايكونه ، ولاشىء غير مايكونه ! ما هو الكمال إن لم يكن الاستغناء عما ينقصنا ؟ وما ينقصنا

كثير دائما . حاليا ،أقل نظرة وأقل إثارة وأقل أفعال للحياة
ووظائفها ، أصبح عندى فى نفس مرتبة النوايا والأصوات
الداخلية لتفكيرى ... إنها حالة سمو ينحصر كل شيء
فيها فى الحياة ... هذه الحالة التى ترفض بابتسامة تعلو
شفتى كل الأسئلة والأجوبة ... الحياة ... إننى أحس
وأتنفس أعظم مؤلفاتى .. وأخلق من كل لحظة لكل لحظة...
الحياة ! إننى أتنفس .. أليس هذا كل شيء ؟ إننى
أتنفس .... أفرد بقوة فى كل مرة دائما كأنها لأول مرة
ـ هذين الجناحين الداخليين اللذين يخفقان الزمن الحقيقى ..
إنهما يحملان من هو موجود ممن كان موجودا إلى من
سيكون موجودا ... أنا موجود ... أليس هذا غريبا ؟
أن يثبت الإنسان فوق الموت كالحجر معلقا فى الفضاء
هذا لا يصدق ... إننى أتنفس ولا شيء أكثر من هذا ...
شذى ورودى الذى لا يقاوم يريد أن أتنفس ... وعبير
الأرض المخضلة يتدفق فى داخلى أكثر اشتهاء دائماً وأكثر
مشتهى دائما ليتغلب على قوة تنفسى .. اننى أتنفس وأرى..
هذا المكان متعة للنظر .. لكن ما أهمية هذا المكان ؟
ما أهمية ما يراه الإنسان ؟ تكفى الرؤية وإدراك أن الإنسان
يرى .. هنا تكمن المعرفة ... إننى مثلا أرى شجرة
الصنوبر هذه ... لكن ما أهمية شجرة الصنوبر ذاتها ؟
ربما تكون شجرة بلوط ... سوف أراها ... وهذا
السقف من الاردواز اللامع ... ربما يكون أيضاً مرآة
من الماء الهادئ ... سوف أراه .. أما عن شكل هذه الكثبان

البعيدة التى تحيط بالبلدة بلا ترتيب مقصود فاننى أحس
بأن لى القدرة على إعادة رسم خطها الطويل المتراخى حسبما
أشاء... الرؤية أيضاً أن ترى شيئا آخر جيداً... رؤية مايمكن
أن يكون لا ماهو كائن .. وإلا فكيف نفسر تلك الرؤى
العجيبة التى يسعى اليها النساك إن لم تكن هذه المعجزة
والتى ليست سوى رؤية أى شيء كان ؟ النفس فى حد
ذاتها بائسة ... فإذا أنا أقفلت عينى وركزت نفسى فلن
أكون إلا بين العقل والنفس .. أى بؤس فى هذا .. !
أين إذن فى هذه الحالة الأشكال المحددة والمتنوعات ،
والمنظور تغيره أقل حركة ، بأى قدر من التعب على
أن أدفع فى هذه الحالة ، من تحت أجفانى، بقاء الأشياء
ووضوحها وبريقها لمحاولة اعطائها شكلا لنفسى ؟ وأى
إيمان عميق وتصوف متصل وموعظة بالغة تستطيع أن
أن تخلق لنفسها شمسا كهذه التى تسطع وتسفك بسخاء بالغ
دمها القانى من أجل الإنسانية كلها ؟

لوست : (بمفردها وهى تقترب منه من الخلف فى حذر وكأنها
تتحرك بغير إرادة) لا أستطيع البقاء بعيدة هكذا ...
إن هذا هو وكأنى أبقى بعيدة عن نفسى ... ماذا يقول
لو أننى قبلت يده ؟ ماذا يفعل ؟

فاوست : أنا أتنفس وأرى .. لكن ربما الأكثر واقعا فى الحاضر
هو هذا : هو أننى ألمس (يضرب ذراع المقعد الجالس
عليه) . وبدفعه واحدة أجد الواقع وأخلقه ... يدى

تحس بأنها تلمس تماما كما تلمس ... الواقع يعنى هذا ... ولا شىء أكثر.

لوست : (من خلفه وبصوت منخفض) : إنه يتكلم .. وأنا أتكلم مع نفسى .. وكلامنا غير متبادل قط ... ومع هذا فليس من المحتمل ألا يوجد بين ما يشعر به وما أشعر به أنا نفسى أى تشابه حيوى ... اللحظة ناضجة جداً ... محملة بأطيب الثمار ... لحظة يوم ملىء بالبهاء من أجل كائنين جد مختلفين ، يمكن أن يصبحا كهذا اليوم ، فى أوج مقاومتهما لقوة الأشياء ... أنهما كهذا اليوم مفعمان غنيان بوجدانهما ، محملان بطاقة سعادة غير محتملة تقريبا ... ولاتجد لها متنفسا أو حداً طبيعيا أو تفريجاً أونهاية ... إنه نوع من الموت .

فاوست : نعم .. أى شىء أكثر من هذا واقعا ؟ ألمس ؟ وأنا ملموس. قال شاعر قديم : أن تلمس وأن تلمس أمر لا يتعلق إلا بالأجساد وحدها ...

(صمت .. تضع لوست يدها بخفة على كتفه) هأنذا ألمس .. نعم من ؟أهذا أنت يا لوست ؟ ظننتك ذهبت..

لوست : إنه أنا ... لماذا تقول لى أنت ؟

فاوست : لأنك لمستينى ... لماذا لمستينى ؟

لوست : خفت أن تنام وأنت تحلم ... ليس هذا تحذيراً .. أنت تعرف .

فاوست : لا شيء أخشاه من شمس تغرب فى أوجها ... يدك عنى ..

لوست : لا ... لماذا أبعدها ؟

فاوست : لأنه لم يعد هناك رشد ... نحيها .

لوست : لا .

فاوست : لماذا ؟

لوست : مادامت امتدت وحدها ... فى الحقيقة لا أعرف لماذا امتدت وحدها .. لماذا استقرت هنا على كتفك .. لماذا أنحيها ؟ لماذا ؟ قلت هذا بسرعة .. هل تعرف أنت نفسك بصفتك عالما لماذا قلت لى أنت منذ لحظة ؟ إن هذا يحدث وحده كأى شيء هام .

(تنحى يدها) .

فاوست : لقد تولد هذا منى ومنك . وليس منك أومنى ... يدك وهذه الكلمة .. هذا يشكل شيئا ... نوعا من الوجود ... لا نعرف عنه أكثر من أن الذين يصنعون طفلا لا يدركون بواعث صنعه . فغالباً ماتتولد المحبة من لا شيء .. من تسلية ، من خطأ مشترك .... وغالبا ما يستحيل هذا اللاشيء إلى لاشيء ، وغالبا مايقود إلى كل شيء ... نحى يدك يا آنسة .

لوست : لكنى نحيتها يا أستاذ ..

فاوست : إنى أحسها لا تزال تضغط على كتفى خفيفاً جداً .. لكن أعطنيها الآن .. أنا فى حاجة اليها .. نوع من الاسترخاء اللذيذ يحول بينى وبين الوقوف (تمد اليه يدها . يقوم

بحركة كأنه يجذب اليه لوست لكنه يحجم فوراً ويترك يدها التي كان ممسكا بها) لا ... لاداعي لهذا .. شكراً .. لا تشجعيني . لو كنت أعطيتنيها ...

لوست : ماذا ؟

فاوست : (يقف) . كان سيحدث كل شيء .

لوست : (خافضة رأسها وبصوت مضطرب) : هل تدخل ؟

فاوست : ليس الآن ... لي رغبة في العمل قليلا هنا .. لدينا سويعة من اليوم .. يقال إنها تتركنا في أسف ... لكن العمل لا يتقدم كثيراً.. هل تسمحين بتناول الكراسة؟ هل أنت متضايقة؟ يبدو عليك مظهر من هي ليست بعيدة عن البكاء ..

لوست : أوه .. لا ... يبدو هذا على وجهي بين حين وآخر ... ولا أعرف يا أستاذ ما يحدثه هذا بوجهي ... لا بد إنني أبدو قبيحة جداً .. لكن أية امرأة لن ينطلي عليها هذا أبدا ... سوف ترى على الفور إنني لا أفكر في شيء يتطلب البكاء ... الرجال لا يدركون معنى هذه الأشياء الصغيرة على وجوهنا والتي غالبا ماتكون ذات أهمية كبيرة جداً بالنسبة لهم .

فاوست : قولي أحسن : ذات أهمية بعلقونها بالنساء .

لوست : أقول أحسن : ذات أهمية يعلقونها بامرأة معينة ... إمرأة تكون سعيدة في هذه الحالة .

فاوست : أراك أيضاً تؤمنين بالسعادة .. هذه الكلمة التي هي من

أجل النساء .. وتضعينها بوجه خاص فى دائرة شعورك على أنها الاهتمام الوحيد ... الاهتمام الملح المطلق من جانب الشخص الآخر ... من يعلم ؟ ليكن ، لكن طالما ليست لديك أية رغبة أو سبب للبكاء فأنا فى غاية الارتياح ، وأرجوك أن تجلسى كى أمليك ... فى أى مكان تشائين... عظيم .. هل تسمحين بقراءة الجملة الأخيرة .. ! ؟

لوست : الأخيرة فى المرة الأخيرة ؟

فاوست : لا .. الأخيرة فى المرة السابقة للأخيرة .. التى سوف تأتى بعد ذلك .

لوست : آه .. عظيم .. هاهى (تقرأ) « تأكدت أخيراً بعد القاء نظرة على مذكراتى وأفكارى أن الخطأ المشترك للفلاسفة ؛ القدامى منهم وأنصار الحديث ؛ أصبح آخر الأمر جليا وأصبح من السهل البرهنة عليه » .

فاوست : مضبوط .. أكملى (يملى) « وهكذا ... وهكذا أنه ... » لا... لاداعى لكلمة أنه ... وهكذا فى خلال سنتى خمس وأربعين وست أوربعين أثناء إقامتى فى بازيلى .ب ... ا ... ز... يـ ... لـ ... ى حيث كنت أسكن فى و د .

لوست : فى عائلة .. ؟

فاوست : ف... ى...و...د عند أرملة حزينة .

لوست : يا لها من بائسة ! تلك الأرملة الحزينة !

فاوست : آسف ... أخطأت ... اكتبى « عند أرملة شابة » .

لوست : أوه ! حزينة كانت أحسن .

فاوست : « شابة .. حزينة ... متأججة .. متأججة » اكتبى إذن..

لوست : نعم نعم ... هأنذا كتبت .

فاوست : والتى أحال لى شبابها وحزنها وتأججها المنزل .. المنزل... جداً » .

لوست : جداً ماذا ؟

فاوست : ملائما جداً .. ملائما جدا ... فلنضع « ملائما جداً »

لوست : « فلنضع » لا ... أنت الذى تضع .. أنا أكتب .

فاوست : « ملائما جداً حتى كان لى شرف فهم ... » .

لوست : أنت ؟

فاوست : لكنك تقاطعينى طوال الوقت ! اكتبى إذن « حتى كان لى الشرف فى أن أتبين مبدأ هذا البحث عن الرقة الذى حدث أن العالم المعروف كاردان .. كا ... ر ... دان

لوست : أعرفه .

فاوست : « الذى حدث أن العالم المعروف كاردان سبقنى إلى سرقة عنوانه منى قبل ذلك ببضع سنوات » .

لوست : سرقة قبلك ؟

فاوست : نعم .. هذه الأشياء تحدث فى عالم الروح .. وهذا لا يمنع من السرقة بعد ذلك أيضاً .. الروح تسرق حيث تستطيع .

لوست : والأرملة ؟

فاوست : انتظرى حتى أقلب ذكرياتى بعض الشيء ... هأناذا أتابع (يملى) وفى احدى أمسيات الشتاء ... أمام النار المشتعلة.. النار المشتعلة كنت أفكر ناظراً إلى اللهب .. اللهب .. وأداعب بلا اكتراث .

لوست : بلا اكتراث .

فاوست : بلا اكتراث .

لوست : ألا تستطيع التفكير بغير هذا ؟ هذا جدير بالقطط .

فاوست : هيا هيا (يملى) « وأداعب بلا اكتراث الإنسانة التى ذكرتها والتى كانت ساكنة » .

لوست : ساكنة ؟

فاوست : ساكنة .. سا .. كـ ..ـنه على ركبتى .

لوست : يا لجملك الطويلة ... هذه الأرملة لن تخلص من هذا أبدا .

فاوست : هذا غير محتمل .. أنت تقاطعينى فى كل لحظة يا آنسة .. سيل أفكارى ينقطع .. أنا مضطر إلى أن أطلب اليك إعادة قراءة كل هذه الجملة . لابد أنها طويلة فضلا عن أنها معقدة ..

لوست : نعم .. أرى جيداً أنها معقدة (تقرأ) وفى إحدى أمسيات الشتاء ، وأمام النار المشتعلة كنت أفكر ناظراً إلى اللهب وأداعب بلا اكتراث الإنسانة التى ذكرتها والتى كانت ساكنة على ركبتى .. »

فاوست : (يملى) خطرت لى فكرة أنه توجد بين كل هذه الأشياء

الماثلة أمامى فى حاضرى، هذه النار وهذا البرد وهذا اللون للنهار وهذا الشكل الرقيق للتوازن فى الاستسلام المحبب جداً إلى النفس ... وهذه المشاعر الغائمة التى تعيش برقة فى مكنون نفسى .. ومن ناحية أخرى .. ناحية أخرى .. فكرى المجرد .. توجد بين كل هذه الأشياء علاقة عميقة ومؤكدة تمتد أيضاً إلى ماضى .. ودون شك إلى ما يمكن أن يـ .. حـ .. ـد .. ث .. أن يحدث » .

لوست : وما حدث .. أليس كذلك ! قالها حالا ..

فاوست : (ممليا) : « علاقة أو اتفاق لم يدرك أحد حتى الآن كنهه أو الإمساك به، ولكنى لمحت فيه فى نفس اللحظة الباعث والصورة والمتناول .. »

لوست : انتهت ؟ لم أعد أرى .. لم أعد أرى .. أنا

فاوست : بعض كلمات أيضاً وتنتهى (يملى) « وحينئذ كان سرورى عظيما جداً وانتصارى مؤكدا... ونهاية ناجحة جداً لم تكن متوقعة لدور طويل صعب فى لعبة ضد عاهة الفكر، أمكن الفوز فيها بفضل معونة الصدفة الكريمة .. حتى .. حتى .. ».

لوست : (فى ضيق) : حتى ماذا ؟

فوست : (بقوة وهو يقف) : حتى أننى وأنا أقبل بملء فمى تلك الإنسانة التى ذكرتها، كان يجب على تقبل أى شىء ودون أية شكليات أو كلمات أن أستعيض بما لا أدرى أى عوض فظيع من الحب تجاه قدر كبير من السعادة الروحية التى غمرتنى فجأة بعد كثير من ...

لوست : (باكية) : آه .. لالا ... لم أعد أستطيع الكتابة ...
تعبت جدا .. جدا جدا .. تعبت .. وأنت تجرى بسرعة .

فاوست : أوه لوست ... ألست على مايرام ؟

فاوست : لست على ما يرام ... لست على ما يرام أبداً ... هذه الجملة كانت طويلة جداً ... معقدة جداً .. ثم هذه الأرملة.
كانت جذابة .. اليس كذلك ؟

فاوست : دون شك .. لكنها .. لم توجد قط .

لوست : آه .. الأرملة ؟ هل هذا صحيح ؟

فاوست : نعم .. إنه مجرد أدب .. فن خالص ... ها أنت قد بدا عليك الاهتمام عند إدخال جزء يسير من الحقيقة يرطب عدمية الحياة فى بحث جاف عن اكتشاف مادى ... جسد حى .. أليس كذلك ؟

لوست : آه ... نعم .. طالما ليس لها وجود .. فهذا شيء جميل جداً ... هذا هو الخلق ..

فاوست : بالضبط .. أدخلت الأرملة للتأثير .. كالمصور الذى يرسم زهرة فى لوحته لأنه فى حاجة إلى زهرة .. لمجرد التأثير ... كذلك بالنسبة لكتاب القصة ... لقد قلت لك وأكرر قولى أن هذه المذكرات ليست ذكريات ...وإننى أمسك بما أتخيله جديراً بما كنت عليه وماكنت أشك فيه .. وعلى أية حال فإن الذكريات كما هى ليست لها أية أهمية .. لكن المذكرات .. ! هيا يا صغيرى لوست .. لقد أرهقتك ؟

لوست : أبداً يا أستاذ .

فاوست : نعم .. هيا بنا نسترح .. تعالى نتمشى فى الحديقة التى عمرها الليل والتى سوف تجذبنا ظلالها وأشجارها هناك إلى عذوبتها المتعددة الوجوه .

لوست : بكل سرور ... أشعر بظمأ ! .. اسمح لى بأن أقطف أولا هذه الخوخة الجميلة (تقطفها وتقضمها ثم تمدها مقضومة إلى فاوست) أوه .. يالعذوبتها ... ثم أنت .. ثم لى مرة أخرى (ويأخذ فاوست الفاكهة ويقضمها ثم يعيدها إلى لوست وهو ينظر إليها فتمسك ذراعه ويخرجان من ناحية اليسار)

المنظر السادس

ميفيستوفيليس

(فى هيئة ثعبان أخضر يسقط من الشجرة)

ميفيستوفيليس : فاكهة .. فاكهة ! قضية فاكهة أخرى .. إنه عود .. لا يوجد قط لدى أى إنسان فكرة تقديم أية تفاحة أو خوخة أو كمثراه إلى ! إننى صديق قديم للأشجار .. ومع أننى تجولت بينها كثيراً فإننى حتى هذه اللحظة لم أعثر على شجرة العرفان بالجميل ... لقد بلغ عدم العرفان بالجميل للشيطان مداه .. يا للعجب ! إن كل الفواكه ثمر مر والذى يعتقد أنه يقضم لب فاكهة حلو هو ذاته مقضوم فى قلبه .

كل شيء سام في الطبيعة .. ولا توجد نسمة أو عطر
أو جدول رقراق إلا وأسبح فيه أو أوسوس ... والحب
بدوني بصيص ضوء زائل وعمل سخيف ... إنني أضفي
عليه كل ما يحتاج من لون وعمـــق ومنـــظور بالجهنم
وخوف وحقد وتأنيب . ولكي أصنع كل هذا أمزجه
بالأحلام والشكوك ... مزيج مدهش . ماذا يكون الحب
بدون الثعبان الذي يوسوس ؟ سوف يصبح اختلاطاً دورياً
للجنس يسير على وتيرة واحدة على حد تعبير التاريخ
الطبيعي اف ... ويا له من سذاجة مقدسة سخيفة ! لكن
يا فاوست لم أهمس بكلمة واحدة هذه المرة .. لقد ترك
الثعبان الحذر الحديقة والشذا والمساء والوصول الفذ إلى
جسد وإلى مسلك آخر يخضع للقانون الأبدي . بماذا توحي
هذه الأملاء الناعمة ؟ أشعر برغبة حقيقية لمعرفة البقية ...
إن أحسن طريقة مؤكدة لمعرفتها هي أن ترتب نفسها بنفسها.
لقد وقعت البنية تماماً .. لكن العاشق ليس متحمساً بما فيه
الكفاية ... انطلت عليها مسألة أن يملي .. وانطلى عليها
أيضاً أن يكذب لأن هذه الأرملة المتأججة كانت تعيش
بقوة وتأجج. وأعتقد كذلك ـ لأني متأكد من هذا وشاهدته
بنفسي ـ أنها منذ ذلك الوقت غيرت مصادر تأججها وتغيرها
بفظاعة .. ها .. ها .. ها .. شابة .. متأججة وحزينة ياله
من يقين .. ها ها ها .. شهوة مجنونة .. خذ حذرك من
الحب .. حب .. حب .. هي هي هي .. اضطراب فظيع .. ها
ســـتار

الفصل الثالث

فى مكتبة الدكتور فاوست حيث الجدران المغطاة بالكتب .

المنظر الأول

التلميذ ــ بلبال ــ عستروت ــ جونجون

عند فتح الستار نشاهد الشياطين الثلاثة ـ نشاهد أقنعة على هيئة رؤوس حيوانات دميمة تنتشر فى الديكور بشىء من الغرابة ــ جونجون شيطان مخنث مزين يملأ وجهه بالأصباغ ويضع على رأسه شعراً مستعاراً أشقر وشفتاه محمرتان فى لون اللهب يجلس على مقعد بدون ظهر يقلب كتاباً. التلميذ ينام ورأسه فى كتاب مفتوح فوق منضدة على يمين المسرح الذى يضاء بنور خافت أزرق تقطعة بشكل مفاجىء من وقت لآخر اضاءة خضراء وحمراء .

بلبال : هلا كففت عن الصر على أسنانك ؟ هلا كففت ؟

عستروت : أنا فى غاية الضيق .. متضايق .. أوه .. ما أشد ضيقى !
كريك ... كريك (يصر على أسنانه)

بلبال : كرين كرين ياقرش البحر القذر ... صر .. صر بأسنانك الخضراء المنكودة. يقولون أنك تصحن أبدا رملى المرامل

عستروت : أنا أقرض .. أقرض .. أسحق .. أفتت كل شىء يضايقنى .. يضايقنى .. الضيق يقرضنى .. كريك كريك .

بلبال : أوه .. هذا الكرين كرين .. ماذا تقرض ؟

عستروت : كل شىء .. القلوب .. الأجساد .. العظمة .. الأجناس.. الصخور .. حتى الزمن نفسه .. أحيل كل شىء هباء .. كريك كريك ..

بلبال : كل حسب مزاجه .. أنت تقرض أما أنا فأدنس ..

عستروت : ياللقذارة .. وماذا تدنس ؟

بلبال : كل شىء .. أحيل كل شىء عفنا .. أنت تقرض أما أنا فأفسد .. أفسد الأفكار ... أبدى الحقيقة دميمة أو فاحشة، ألوث النظرات، وأسمم الكلمات..وأجعل من الحقيقة شيئاً قبيحاً قذراً .. ومن يبحث عنها يجدنى أنا حقيقة الحقيقة .

عستروت : يجد شيطاناً قذراً فى نهاية مطافه .

بلیال : وغد أنت يا قارض كل شيء .. أما أنا فأختار ما يوجد فيه النقاء .. وهذا ما يغريني .. البراءة من نصيبي .. النقاء أعز شيء عندي ! كل براءة تدعو إلى أمل في الرجس .

عستروت : يالك من شاعر .. فمك يسيل لعاباً .

جونجون : كفا أيها القذران ... إنكما تحولان بيني وبين ما أقرأ .

عستروت : وماذا تفعل أنت هناك أيها الداعر المزدوج ؟

جونجون : أبحث عن موضوعات الأحلام .. فغالباً ما توجد في هذه الكتب بعض الأفكار الطيبة .

بلیال : أيها المخنث الخالد .. هل أنت في حاجة إلى دروس ؟

عستروت : دعه إذن أودعها ... الواحد منا لا يعرف إلى أي جنس يتحدث مع هذا الفاسد ذي المدفين .

جونجون : يا فأر .. يافم الفأر ... اقرض لسانك .. أنا أتبع في في كل ليلة أجمل عملية في الدنيا .. مومس مثالية أو كبش مخيف .

بلیال : عجباً .. نحن أيضا ننشط في الظلام .

عستروت : أنا أتسلط .

بلیال : أنا أوسوس

جونجون : أناأتسلط وأوسوس وأسحر وأضرم وأهمس وأحتضن

وأطوق .. نعم أيتها الوحوش .. حينما أتشكل أو أتجسد في هيئة فتاة بضة ممتلئة عارية وأتمدد على طول شاب نائم وأدبر له حلماً ملتهباً وهدفاً قوياً سوف ينشده طوال حياته من امرأة إلى إمرأة دون أن يحقق أياً من هاتين ، الإنسانة المتخيلة واللذة الحقيقية اللتين استقطرتهما من دمه واستخلصتهما من براءته ..

بليال : إذن أنزل من مستشرفك أيها الخنث الشاحب ... أمامك هنا نائم ساخن . . تعال دغدغ كومة الحياة البشرية هذه المغطة في نومها ..

جونجون : ماذا يفعل هنا ؟

عستروت : ينام .. أي معجزة ! النوم ... ماهو ؟ لابد وأنه منة إلهية .. النوم النوم .. أي حلم !

جونجون : إنه شاب وسيم بما فيه الكفاية .. في ميعة الصبا .. ما ألذه من نوم .. لكم يثق بالطبيعة ولكم ترتسم على محياه في ارتياح البراءة والنسيان وخلو البال الفطري والثقة في البقاء ..

عستروت : كأن لا وجود لنا .

بليال : هيا .. إقترن لي به .. إفصله عن متعته الميته .

جونجون : أي خسارة !

عستروت : قف مكانك .. لا تمسسه .. التيس الأكبر هو الذي

ألصقه بهذا الكتاب الضخم حسب تدبير سحرى لينام حتى اللاحظة التى يوقظه فيها .

بلبال : إذن .. حسبك ! ربما للتيس الأكبر وجهة نظره

عستروت : ميفيستوفيليس يعرف ما يفعل .. لا تطمع فى أحد يفسر لك أفعاله .

بلبال لسنا سوى طراطيره .. وأنت الماكر جداً ولاك قوة سحق كل شيء ربما تعرف ما يدور هنا .

عستروت : يدور هنا ما يدور .. كل واحد ولعبته .. أنا أقرض أنت تدنس .. هو أو هى يسفح ... نحن نوسوس .. أنتم تتسلطون ... مولد

بلبال : ثم ... إننا هنا أحسن من تحت ... فى القاع .. فى قاع قاع الهاوية ..

الجميع (فى فزع) : الهاوية .. (صمت) الهاوية .. الـ .. ها .. و .. ية

(يرتعدون)

جونجون : ثم ... هنا ... يرى الواحد منا أناساً أحياء ... نتسلى .. هؤلاء الناس يملكون الحب .. حب ... نوم ... معجزات ! لديهم كل شيء هؤلاء الأحياء الخنازير..

بلبال : لديهم الموت أيضاً .

جونجون : لكن لديهم الحب .

عستروت : الحب .. هذا الدنس .. أنا أقرضه .. وأضفى عليه من الاشمئزاز والمخاطر والشكوك .. كريك كريك .. أقرض الفتنة وافنى الرغبة .

بلبال : لكن أنا ألوثها وأهيجها .. أنت تحيلها حزناً وأنا أحيلها جنوناً .. أنا أسممها فتتمزق وتفترس نفسها .. وتقتل ..

جونجون : إنكم لا تعرفون شيئاً أنتم الأخر .. لا شىء البته .. تعرفون أيضاً قليلا عن الحب الذى يعيشه هؤلاء الأحياء البلهاء ... أما أنا فأعرف ..

عستروت : ماذا تعرف إذن أيها الداعر ؟

جونجون : ما يعرفه أى إنسان حين يغش .. أنا أفهم فى اللعبتين ، الذكر والأنثى .. اصغ إلى أغنيتى : أصنع من نفسى الرجل أو المرأة ، أفعل أو يفعل بى ، أعطى أو آخذ وأصير بمزاجى أعلى أو أسفل فى لعبة المتحابين .. أخون العشيقة والعاشق كل بدوره .. أعرف من حواسهما كل الخلاف ، ولا شىء غيرى يقرأ فى قلبى الوحش ذى الرأسين والذى يتكون من عاشقين متحدين يجهل كل منهما الآخر ... استخدم فى النوم كل قواى ... إذ باستسلام الانسان لسعادة النوم يغيب ويسلم الجسد الروح لقواى الساحرة ، فأبعث فيه فتوراً يسيطر عليه ثم يتحول إلى نوع من الأسى اللذيذ .. يلهث الإنسان ويزفر وتتمتم شفتاه الممطوتان ... حينئذ أوسوس فى أعماق نفسه ببعض صور الضياع ... ببعض جرائم

الموت ... لأن كل حب ينطوى على شر ينضج ..
وإن أكثر العقد لذة لهى عقد الثعابين .. كل جنسى
يخشى الجنس الآخر وينسب إليه الغموض .. ها ها ها
(يضحك) الغموض. هؤلاء المتجسدون يتمتعون
بالألغاز.

عستروت : لو أنهم يشكون فى أن الأرواح لا تدرك شيئاً.

بليال : لسنا سوى حيوانات .. إننا جميعاً أنقياء

عستروت : أنقياء ... لا يوجد أنقياء سوى الملائكة والحيوانات ..
أما الآدميون فهم مهجنون.

بليال : خليط .. لديهم الجسد والأفكار .. والبطن الذى يفكر

جونجون : لو لم يوجد غير البطن!

عستروت : توجد أيضاً المتعة .. الأعضاء السفلى .. إننى أكره!
كريك كريك.

بليال : إطحن ... صر .. أنا أيضاً أكره! .. أدنس .. أفسد ..
أفسد اللبن والدم والمرارة.

جونجون : وأنا أكره فوق .. أكره تحت. أرجف الأيدى ..
أخلخل الركب .. أغم القلوب .. أحطم ..

الجميع : أنا أكره .. الكراهية هى الحياة! هى نحن
(هنا يتنهد التاميذ ويتحرك)

بليال : هوب .. هذه الطينة تتحرك ... أبله يتشكل

جونجون : أقلقه وجودى بشكل خفى فعلا .. أنظر .. دعنى أؤثر عليه (يقترب منه متقصعاً وينفخ فى شعره فيهتز التلميذ ويتمتم) أرأيت ؟ ها هو يتنفس بشكل آخر ويتلون وجهه. كل ما فيه يتجه إلى الطيف الذى يتشكل من قواه : يداه تبحثان ونفسه تظن أنها تمسك بشىء . هل أداعبه أكثر ؟ إنه ينشحن بالحب شيئاً فشيئاً .. لست هنا إلا من أجل الفتاة .. لقد أوحيت إلى هذه العذراء الرقيقة بأحلام جميلة ، فى تلك الليلة .

بليال : عذراء !

جونجون : نعم عذراء بالنسبة للثلثين .. أما الرأس فعاهر ..

عستروت : كفى كلاماً يا جونجون .. أنا متضايق .. متضايق .. كريك .. كريك .. أقرض ثرثرتك .. دعنا نرجف هذه الدمية ونجعلها تئن وتتأوه وتتلوى ..

بليال : أما هذا فلا ... ! احذر أن توقظه .. التيس الأكبر يحتفظ به هنا ساخناً من أجل مهمة أخرى .

عستروت : فى داهية إذن.. التيس الأكبر له فكرته عن هذا البيت (بصوت منخفض) . هل تعلم أن بعض مضايقات حدثت له مع صاحب هذا البيت.. خرج من يديه..هل تعلم؟

بليال : (بصوت منخفض) : هل تعتقد أنه وجده أشد خبثاً منـه ؟

عستروت : شت (بصوت منخفض جداً) ولم لا ؟

(صمت)

جونجون : إنه لا يحب إضاعة الصفقات الكبيرة .. التيس طبعاً .. طالما اختص بكل أمجاد الجحيم ، وطالما أحب أن تقبل عجيزته حتى يحصل على ما هو أكثر رفعة وامتيازاً على الأرض . لكن إنسان هذا البيت يشبه شيئاً آخر غير الإنسان .. عرفت ؟

عستروت وبليال : أشت .. أشت .. سكون .. رائحة التيس

جونجون : في داهية ... خسارة .. أنظر كيف ينام مستغرقاً هذا الطفل ! لكم هو نابض ... إنه يجعلني أتردد بين جنسين .. انظر .. انظر ... هأنذا أكاد أحتك به ... لم يحدث شيء حتى الآن ... لم تمس سذاجة النوم العميق الذي يغشاه ... بريء أنت يا حبيبي ... سوف أسحر نومك الجميل ... أرى مصيرك الغرامي .. سيتدفق مليئاً بالحياة عبر نهر دمك الحي ... بريء أنت يا صديقي .. لم تعد أنت نفسك تماماً ... لم تعد ذلك الحيوان الفاني الذي يتنفس دون وجود .. أنت تحس ماصرت إليه .. صرت في حاجة إلى السعادة .. أنظر .. كم أنا جميلة .. كل جسدي حيوية .. بشرتي كلها ناعمة ... المسني ... المسها ... هل تفهم أيها الحيوان الصغير ؟ هنا .. وهنا .. وهنا ..

(تحوطه بكل أنواع الدلال ، يعتدل التلميذ نصف اعتدالة مغمض العينين ويداه ممدوتان ضائعتان في الفضاء وهو يتمتم)

التلميذ : أوه .. نعم .. عجيب جداً .. ماذا ؟ ماذا ؟ تاتا .. حلاوة ... حلاوتك ! أوه .. حلوة جداً .. ياللهول

(يسمع طرقعة سوط قوية)

الشياطين : التيس !

المنظر الثانى

الشياطين — ميفيستوفيليس

(يظهر ميفيستوفيليس وبيده سوط .. يتقهقر الشياطين ناحية الجدران ويركعون) .

ميفيستوفيليس : يا وحوش .. ماذا تفعلون بأوامرى ؟ (للتلميذ) أيها الشبح .. عد إلى العدم .. اسقط فى الغيب (بحركة يلتصق التلميذ نائماً على الكتاب الضخم) أيها الوحوش البائسون غير المحسوسين .. يا ذرة من جهنم الخالدة .. أنتم يا أعوانى الكالحين .. يا خدم الجلاد الذى هو أنا .. !

الشياطين (معا) : أى ابليس .. كن بنا رحيما يا أمير الشر .. اصغ إلينا يا قلب الهاوية .. سامحنا !

ميفيستوفيليس : آه يا وحوش جهنم .. ياملاعين الظلمات .. هل نسيتم أن لامكان للثورات فى جهنم ؟

الشياطين (معاً) : أى ابليس .. ابليس .. سامحنا

ميفيستوفيليس : ياكلاباً مسعورة .. ترتجفون الآن .. !

الشياطين : (على وتيرة واحدة تارة بعد أخرى) يا قلب الهاوية .. يا قنطرة الحقد .. يا آبار الفرية .. يا ظل الحقيقة !

ميفيستوفيليس : (مطرقعاً بسوطه) اسكتوا .. كفوا عن الهذر الشنيع يا جبناء .. كنت زمانى ملاكاً لو أننى تذللت هكذا مثلكم .. آه .. أى عقاب ينزل بى فى اتخاذى لكم وكلاء لأعمالى أيها السفلة المتوحشون .. إنكم دميمون يا للتقزز .. ! لقد سئمت عملية الاهلاك المملة هذه والتى تلازمنى كظلى إلى الأبد أمام وجوهكم البشعة ياكفر مجسد ويا أدوات هلع تمارس بها كل الحقارات.. يا للبؤس .. دائماً افعل نفس الشيء .. ما أسعد الإنسان الحى .. يتنقل بين الخير والشر والشر والخير .. ويتحرك بين النور والظلام .. يحب ويرفض ويمارس كل القيم التى يحتمها الجسد والروح والغرائز والعقل والشكوك والصدف فى حياته اللامعقولة . وفى استطاعته أن يربح ويخسر .. أما أنا .. كونى شيطاناً فهو البؤس بعينه (يضحك الشياطين) تضحكون أيها الكلاب القذرة يا سقط المتاع .. اضحكوا .. اضحكوا .. (يضربهم بسوطه ذى التسع شعب) اضحكوا .. اضحكوا .. أطلقوا هذه الضحكة السوداء المشحونة بصرير السلاسل . أليس فى استطاعتى أن أدمركم وأدمر نفسى (لعستروت) بم تمرمر يا حلق ظل عفن ؟

عسبروت : يا سيدى .. إننا نقبلك حسب الطقوس ونقبل عجيزتك .. ونقدم إليك فى احترام تحية أقذر روائحنا العفنة المتصاعدة من أجسادنا . تقبل بخورنا .. وها نحن مجتمعون حسب أوامرك ينتظر غباؤنا من فخامة سوء نيتكم ما تتفضل بإملائه علينا لممارسة خبثنا ورذائلنا واتلافنا وإشاعة اضطراب عضوى أياً كان فى هذا البيت .. كريلك كريلك ..

ميفيستوفيليس : كفى كفى يا قراضة .. يا سيىء التشحيم .. إنك حقاً تصر كثيراً .. فى استطاعتك أن تقرض الشيطان .. هل يا ترى سوف تحيل جوهر الخلود رماداً ؟

بليال : عظيم .. قول عظيم ..

ميفيستوفيليس : اسكت يا خنزير .. أنا لا أعانى إلا من تسخير الناس لى .. الأرفع شأناً بينهم هم الذين يحسنون الحديث عنى .. سكوت إذن .. أنصتوا وارتعدوا .. هنا يعيش رجل يدعى فاوست يسخر من الجحيم .. يهمنى شخصياً .. إنه رجل قوى عليكم يا رعاع .. أشغلوا أنفسكم بالمنزل .. وليتخذ القلق فيه موطناً .. وليختلط الأسى فيه بالهواء والظل .. والأنين بالأثاث .. والرجفة بالفراش .. وليخفق الضوء بغرابة فى المصابيح ، وليعم الاحساس بوجود حالة غير مفهومة ومفزعة ، تنتشر فى كل شىء فى المنزل .. أما أنت يا جونجون فإننى أعهد إليك بهذا الصبى هناك وتلك الفتاة التى ستحضر حالا . أريد أن

أراهما غداً مغوين ..يجب أن أراهما سائرين فى مسالك جسديهما ، طافحين بأشد سموم شهوتيهما حدة. أحبكى لهما الحيل .. أبذرى بالحب ضعفهما الليلى دبرى أحلامهما .. إملئى بالأمل المبهم قلبيهما الممتلئين بالقوى تماماً، واجعليهما يستيقظان فى حالة اقتراب من الرغبة ، وتعلق بالحنان الذى يكفل لأقل عارض أن يدفعهما الواحد صوب الآخر .. أنت تعرفين كيف تقلدين الصدفة .. تسلطى حالا على هذا الصبى الذى أدرت له عقله الأرعن قليلا .. أما الفتاة فأوليها عنايتك. فيها بعض غموض معين هذه البطة .. سوف أهمس لها بشىء ..

(يعطى إشارة فيتحرك الشياطين من أماكنهم ويخلون وسط المسرح)

المنظر الثالث

نفس الأشخاص — لوست

(تشاهد لوست حاملة مصباحاً فى يدها . المفروض أن الشياطين غير محسوسين من البشر ويضحكون دون أن يسمعهم أحد) .

لوست : إلىّ بكتاب .. كتاب حتى لا أفكر .. كتاب يحول بينى

وبين نفسي .. لكن أى كتاب يا قلبي .. أى كتاب هذه الليلة يستطيع أن يغريني بحياة أخرى غير حياتى ؟ أى قصة .. أى رواية ؟ بينما لا أفعل سوى اختراع شيء من السعادة وشيء من البؤس بقدر ما أستطيع .. وأعيش تماماً وبكل كيانى انتقالات نفسي ووثباتها وسقطاتها المتكررة .. آه لو أعرف ما تريد هذه النفس ؟.

(فى هذه اللحظة يقف ميفستوفيليس المختفى فرضاً خلفها ويتبادلان معاً بصوت منخفض الحوار التالى)

معا : أنت تعرفين جيداً ما تريدين .. تعرفين كثيراً ما تريدين .. ولا تجسرين على التحدث إلى نفسك بما تجسرين على الاحساس به . انه وشيك الوقوع ...

لومست : عجباً .. أى صوت يحدثنى غير صوتى ..ومن التى تعذبنى وكأنها واحدة غيرى .. فلأهرب إلى فراشى من أفكارى .. كتاب .. كتاب .. كى لاأسمع نفسي .. لكن يبدو لى أننى لن أقرأ قط .. يا لقلبي .. ماذا تفعل من أجلى كل هذه الكتب التى ليست إلا عقولا ميتة وأشياء تستطيع الادعاء لنفسها ..

معـــا : استمعى إلى يا صغيرتى .. استمعى إلى .. إننى أشد أصواتك إخلاصاً ! استمعى جيداً .. أنا حقيقتك ، طريقك ، حياتك .. استمعى إلى .. هذه هى النصيحة المخلصة ..

لوست : أي صوت يحدثني وهو صوتي .. ومن الذي يشوش علي؟

معـا : استمعي .. استمعي .. انها النصيحة الوحيدة .. أحبي نفسك ! ...

لوست : يا لقلبي الذي يعرف كل شيء ! يقفز فجأة .. يتوقف فجأة قبل أية فكرة .. إنه هنا .. كالقبضة المقفلة تمسك بكل ما هو هام ..

معـا : أحبي نفسك .. أحبي نفسك .. أحبي كل رغباتك ..

(هنا يظهر ميفيستوفيليس ويمر أمام لوست محيياً)

ميفيستوفيليس : تبحثين عن كتاب يا عزيزتي التي ليست عندها أية رغبة في القراءة (تشاهده فترتعد وهي تتقهقر) أنت على حق .. في إمكان الإنسان أن يفكر في أشياء أخرى كثيرة .. كل ما يمكن أن يكتب بلاهة .. وكل ما يعجز اللسان عن وصفه لا قيمة له (تتقهقر) ألا تزالين دائماً تخشينني ؟ أستطيع أن أخيف دون شك .. أريتك حتى بعض هذا الخوف .. ومع هذا أستطيع تقديم أية خدمة لك .. (تدير له ظهرها) عجباً .. ألا تعرفين ما ترغبين فيه ..لكن أنا أراه واضحاً في الخفاء كالقطط .. أنا أتصرف ... أسهل الأمور .. الناس يخافون من أفكارهم .. يخافون حب من يحبونهم ... لماذا تبحثين عن كتاب وفي الكتاب كل سخافات الآخرين ؟ إقرئي وأعيدي قراءة هذه القصة المحببة إلى نفسك والتي لا تكف عن كتابة نفسها وتشكيل نفسها في رأسك وتنمو

وتكتسب حياة مثلك أنت تماماً .. إن لم تكن أكثر منك حياة .. أما الشعر فلست فى أدنى حاجة إليه .. لأن شخصك كله شعر .. وفى عينيك وعلى محياك يتلألأ وهج غنائى . والثراء الغزير لعاطفتك العارمة يوحى لكل كيانك بوجود الجمال الطاغى .. أنت جميلة ! جميلة ! (تخفى وجهها) هيا لا تخفى ما يخلب لب الشيطان .. تقبلى إطراء خبير لا مصلحة له مطلقاً .. أنا لا أتذوق غير الملائكة .. وهم يزعجوننى ..

(يقهقه الشياطين)

لوست : الوحش .. دائما هنا ..

ميفيستوفيليس : أرأيت يا طفلتى يا غاية فى النقاء كم أنا فطن .. قلت لك أنك فى أحسن حالاتك جمالا .. وأنا لم أبحث ؛ ولاأردت أن أبحث ما يسبغ عليك هذا الجمال الوافر .. وعلى أية حال أنت تعرفين جيداً أننى أقرأ خفايا النفس كما يقرأ الناس فى الضوء ؛ وأعلم أن الحقائق تخيف بادئ الأمر من يشكلها فى داخله ؛ وأنها تنمو بعيداً عن الضوء .. لكن لا ترتعدى إذن .. بم تحسين ؟

(فى هذه اللحظة تشاهد لوست التلميذ النائم فترتعش ويتملكها الفزع فتصرخ) ؛

لوست : أوه .. ميت .

ميفيستوفيليس : ميت من النوم .. أنه يتنفس جيداً .. ماذا أفعل أنا بميت؟

الميت بالنسبة لى قضية منتهية .. لا .. إنه ليس إلا شابا لطيفا انجذب إلى هنا كما تنجذب أية حشرة إلى اللهب .. جاء ليستضيء بنور فاوست فى منبعه .. أخشى ألا يكون الدكتور قد طرده تقريبا ؛ واشفاقا منى — سواء أكان هذا الاشفاق منزها عن الغرض أو غير منزه استبقيته هنا .. أريد أن القنه المذهب الصحيح ..
انظرى فعلا إلى ثمرة تعاليمى .. أنيم كأى أستاذ قادر...

لوست : يا له من بائس .. لماذا بقى هنا ؟ إنه فى ريعان الشباب ! لقد ضاع .. آه لوكان يعرف أى خفاش ..

ميفيستوفيليس : لفظ ضعيفة ..

لوست : أكرهك ! أكرهك !

ميفيستوفيليس : كراهيتك لى تعنى حبى..

لوست : قطعا أنت أملى جهنم ذاتها .. روح الشر ذاتها ..

ميفيستوفيليس : كان لابد من واحد يؤدى هذه الفريضة .. أنا مخلوق مثلك ..

لوست : ياربى ... ياربى ..

ميفيستوفيليس: لا داعى لهذه الألفاظ النابية .. أليس مكتوبا عليكم أن تقعوا فى الغواية ؟ ألا أقوم بما فرض على ؟ أكان لزاما أن يقوم بها الخالق ؟ ثم أليس الأمر فى حاجة إلى بعض المساعدين الحاقدين بما فيه الكفاية كى يمدوه بكمية الفزع والقسوة والخديعة التى هو فى حاجة اليها للاختبار والاختيار والعقاب ؟ ألف داهية لمن يقع ! ماذا يكون الجزاء بدونى؟

إنني كل الخطر اللازم من أجل إقامة الحق .

عستروت : يالأهمية ما يقول ..!

بلبال : أظنك لست فى ضيق الآن .. ؟ هاهو يتحدث كالملاك .

لوست : ياسيدى .. ياسيدى ..

ميفستوفيليس : الأمر لا يتعلق بقولك : يا سيدى ... ياسيدى ... ياصغيرتى لوست .. يهمك جداً إذن أمر هذا الصبى ؟

لوست : أنا لا أعرفه أبدا ... إنه أنت الذى أعرف ... إننى ارتعد فرقا من أجل الانسان ..

ميفيستوفيليس : ترتعدين من أجل انسان لا تعرفينه ؟ هاهاها ... إعرفيه أولا على الأقل .. اعطينى مصباحك ... انظرى ؛ هأنذا ألقى عليه الضوء. لطيف .. أليس كذلك ؟ يستحق أن ينشغل به الانسان ويتشاجر بسببه مع الشيطان ..

جونجون : ياله من ماكر .

بلبال : نعم .. يا له من ماكر هذا الماكر .

جونجون : الفاجرة ... سمرت عينيها عليه .. انظر إلى هذه البراءة .

عستروت : والنفس مطمئنة ... هى هى هى .

لوست : يا له من طفل بائس ! فى ريعان الشباب ! يرقد هنا دون أن يملك عن نفسه دفعا. يجب أن أنذره (تناديه صائحة) يا سيدى .. سيدى .. ! أصح من نومك ياسيدى !

ميفيستوفيليس : لا فائدة .. إنه ينام على طريقتى .. الصاعقة بالنسبة له مجرد شوشرة بلا داع ... لكن غدا فى الصباح تجدينه

صاحيا تماما ... سوف ترين كم هو لطيف ونابض ورقيق..
انظرى إلى هذه الجبهة الصافية ... إن أى واحد يتمنى
أن ينام مثله .... معه ... قريبا جداً منه ... قريبا جداً
جداً منه .

الشياطين : آه ... النوم النوم .. نحن لا ننام أبداً .. آه النوم ! أى حلم !

لوست : ما الذى ستصنع به ؟ .. ابتعد عن هذا الشاب.

ميفيستوفيليس : أنا ؟ ليس لى حرية فى الاختيار ... لا تنسى إلى تردد القدرة العليا وأهوائها .. أنا أكثر استقلالا ... أنا الشر الخالص تماما .. لا أعرف الحلول الوسط وهذه المساومات وتلك الرحمة والمتناقضات والجمائل التى هى ليست إلا من صفات السماء .

لوست : أوه ... هأنذا أعرف الكثير .. أنت الحقد الذى لا يخمد.. سأجرى أنادى الأستاذ ... هو الوحيد الذى يستطيع التصرف .

ميفيستوفيليس : نعم .. الأستاذ .. هاهاها ... ربما يعجب لهذا الاهتمام الذى تبدينه بهذا التلميذ العابر الذى انغرز فى بيته دون علمه ... فاوست ليس من هواة الشبان .. ثم إننى أريد أن أسأله عما إذا كان يستسيغ هذا الشعور الطيب من فتاته البللورية نحو هذا العصفور الجميل .. إنه حقا شاب وسيم بما فيه الكفاية... هذا الولد .

(يأتى عليه الضوء) .

لوست : أيها الوحش .. وحش ..

ميفيستوفيليس : الشغل أولا .. — على حد قول أحد البابوات ..

بلبال : إننى أعرف هذا البابا ... يقيم فى مغارة بال .

ميفيستوفيليس : لكن ... هل أنت متأكدة تماما من أننى لن أجعل هذا الولد يحب ؟خبريني يا لوست . لا تظنين أن لا حول له ولاقوة أمامى ؟ ربما تظنين دون أدنى شك أن لا حول له ولاقوة أمامك ؟ أليس كذلك ؟ أمام عينيك ... أليس كذلك ؟

عسترون : أوه .. الثعبان الأصيل !

(يضحك الشياطين بضجة) .

لوست : إنه لا يعرفنى قط ... ولن يرنى قط .

ميفيستوفيليس : يا للعجب ... أستطيع تماما أن أقدمك إليه فى حلم ما ... وسوف يعرفك عند صحوه ... ما رأيك .. ؟ سوف يجن من هذا ... هل تفهمين ؟ لكن ... على الرغم من أننى أستطيع كل هذا ... فليس فى مقدورى أن أسيطر على حريته. على ..حـ..ر.. يـ.. تـ...ـه ... إنه حر !... أقول لك إنه حر ... حر وأنا مقيد بالسلاسل ... لا أستطيع سوى المحاولة ... التجربة .. الغواية كما تقولين .. لكن الاختيار ملك يديك آخر الامر ... لقد منحت القوة العليا القوة السفلى حق الصيد فى غاية الاختيار اللانهائية ... إنها غابة سحرية مشوشة فى داخلك ... وهأنذا ألقى فيها بشباكى وأضاعف فيها من كمائنى وأستغل الصدف ...

ثم أنام ... وبعد ذلك أشتغل على راحتى ... لا تفكير ولا تحفظ ... إذ بمعاونة كل أنواع الضعف البشرى أتآمر مع أرواح الجسد .. فأرسم فى الظلام أبهى ألوان الحياة .. لكن الروح فى يقظتها تستطيع أن تفلت منى .. إنها عملية صراع يا لوست !

لوست : أى صراع غير متكافىء .. !

ميفيستوفيليس : دون شك ... فتاة جميلة مثلك يا لوست لابد أن تكون فى دائرة اهتمامى ... هذه الميزات الساحرة التى تمتاز بها عيناك ، هى التى تستطيع ياوردتى النضرة ، أن تعطف أى إنسان ناحية الشر الذى يجب أن أقترفه .. انظرى كيف أتكلم بصراحة ، أنا الذى يقول الناس عنه خداعاً .. أفصحى .. كونى أنت كذلك صريحة مثلى (ينظر اليها نظرة ثابتة) أفصحى ... هل تحبين فاوست ؟

لوست : حب؟ هذه الكلمة لا تعنى فى نظرك إلا شيئا واحداً أجهله .

ميفيستوفيليس : هوهوهو !

لوست : هل أنا شفافة فى نظرك أم لست كذلك ؟

ميفيستوفيليس : سيكون الشيطان صريحا ... إن قلبك يربكنى .. إنه يحيرنى أحيانا كما يحيرنى ذكاء فاوست المتقد ويقظته المفرطة .

لوست : قلبى غامض بالنسبة لك كما هو غامض بالنسبة لى ... ومع أنك شيطان لاتستطيع فهم مافيه ... على كل حال ... أنت شيطان ... شيطان منحط مهزوم ... وبالجملة ضعيف

جداً .. خائب ... حثالة .. ملتى بك فى ميازيب الخليقة ...
إذهب أيها الشرير ... أنت لا تقدر على شيء فى قلبى ...
ولا تفهم فيه شيئا شيئا شيئا .. لم تعد فيك موسيقى ..
يا لك من قلب يا قلبى ... أنت تسخر من الشر .. وحتى
من الخير .. لست إلا روحا ! كذلك الملائكة أنفسهم
ورؤساءهم المخلصون ، وكل هذه الفئة من أبناء النو ر وقوى
الايمان العميق لايستطيعون الفهم .. إنهم أنقياء، شديدو البأس
أقوياء .. أما الرقة .. ! ماذا تريد غير أناس خالدين
يستطيعون الإحساس بقيمة النظرة ... بقيمة اللحظة !
بقيمة نعمة الضعف ... نعمة خير يجب الاستمساك به بين
الميلاد والموت ... إن هؤلاء البشر ليسو إلا نورا وأنت
لست إلا ظلاما ... لكن أنا .. لكن نحن .. نحن نحمل
وضوحنا وغموضنا ... صراحة أقول لك أيها الجحيم :
الخلود شيء يسير بالنسبة لى ..

ميفيستوفيليس : تاتاتا ... نهاية ساذجة .. أقصد بالنسبة للبداية العظيمة ..
الأرواح ليست غبية كما تعتقدين ... ولا الملائكة بلداء
جداً ... ماذا تظنين الحصول عليه من فاوست ؟ إنه أكثر
بلادة منى .. وإذا لم يكن لديه أى شعور نحوك ياجميلتى
فى هذه الحالة إما أن يكون قد نفد بجلده أو أنه فقد
الإحساس تماما ... النهاية ... هل تحبينه ؟

لوست : وهل أعرف أنا ؟ غيابه بالنسبة لى حضور .. ووجوده
يسيطر على دائماً بشكل غير معقول . فإذا ما وجد بالقرب

منى ، فإنه ليس هو تقريباً ، مادامت الروية لم تعد التفكير فيه .. إنني الضآلة بعينها معه ..

جونجون : يا فاسقة ... أعرف طريقتك في التفكير فيه وهو غائب.

ميفيستوفيليس : خبزيني .. الخوخة التي اقتسمتماها كانت لذيذة .. أليس كذلك ؟

لوست : لماذا توجه إلى هذا السؤال ؟

ميفيستوفيليس : لأنها كانت من بستاني .

لوست : (بصوت منخفض) : كانت حلوة جداً تقريباً ..

(خبطة)

ميفيستوفيليس : أردت أن أنتزع منك هذه الإجابة وإلا كنت كاذبة .

(خبطة)

المنظر الرابع

نفس الأشخاص — الخادم

(يحمل الخادم مصباحا) .

الخادم : لا تؤاخذيني يا آنسة ... آسف يا سيدى .. من أجل الشغل ..

لوست : ماذا حدث ؟

الخادم : حدث ... ماذا حدث ؟ نعم ماذا حدث ؟ أنا مبلبل الفكر .. إنني مبلبل الفكر .. دماغي مشوش ... عجيبة .. عجيبة .. (يسخر الشياطين منه ويتغامزون ويقفزون) لدى إحساس

في هذه الأيام ، بأن البيت مملوء بالعناكب . وأن أفكارى مملوءة بالخيوط .. لا أستطيع التفكير فى شىء دون التفكير فى كل شىء ، ولا فى أى شىء دون التفكير فى لاشىء ... أمر عجيب (يشاهد التلميذ) انظر ... واحد أيضاً .. عجيبة ... عجيبة .. هذا يربكنى .. أنا مرتبك .. كدت أفرغ من إعداد الغرفة الحمراء من أجل سيدى .. أعددت نارا جديدة ..

ميفيستوفيليس : لا جدوى .

الخادم : هاهو ذا سيد آخر .. ! أين أضعه ؟ إنه نائم فعلا .

ميفيستوفيليس : معى ، طوال الليل .. بمفردى .. أخاف.

(يضحك الشياطين بصوت مرتفع) .

الخادم : من أى شىء تخاف يا سيدى ؟ أنا لا أخاف إلا من رأسى .. عجباً ... الإنسان لا يخشى قط شيئاً إلا رأسه .. النهاية .. مادام سيدى يسمح أن يأخذ معه هذا السيد ، فقد حلت المشكلة .. هأنذا أتنفس الصعداء ، لأن فى هذه الأيام لا شىء موضوع فى نصابه أبداً .. أريد أن أتحدث فى هذا الأمر مع سيدى الأستاذ باحترام .. لكن لا أجرؤ .. إنه ينظر اليك بعينيه النفاذتين اللتين تجعلان الإنسان أمامه يبدو غبيا بائسا .. أصبح أمامه حيوانا .. كلبا حينما ينظر إلى .

لومت : المهم .. ما الذى حدث ؟

الخادم : يا آنستى أنا قوى الملاحظة ... لى تفكيرى .. مهما كان

الانسان خادما فله رأيه وحتى مزاعمه .. نعم .. انتظرى ..
أنا مرتبك (يضحك الشياطين بصوت مرتفع جدا)
أوه .. أى ريح .. عجبا .. عجبا .. كل صباح فى هذه
الأيام تحدث لى دائما حادثة غريبة .. تصورى .. بينما
أكون فى حجرة الكرار أغلى لبنى .. هيه ؟ عظيم ...
بعد ذلك ..هيه ؟ فى نفس اللحظة ..هيه ؟ فى نفس اللحظة
التى يفور فيها اللبن أقع فريسة سرحان بسيط ليس له أى
قيمه بالمرة ... وفجأة يطفح اللبن ... يطفح وينسكب
فوق النار .. يحدث هذا كل يوم .. مع أننى عارف ومتأكد
أن هذا سيحدث فلا أحول نظرى عنه .. أراقبه وأحدثه..،
أقول له : انتظر انتظر .. هيه ؟ عظيم ... العجيبة أنه
يسخر من كل هذا .. وفى اللحظة المناسبة أمد يدى لانزله
من فوق النار... هيه ؟ كراك ! تأتى فكرة .. لا أدرى
كيف تجد طريقها بين عينى اللتين تلاحظان وبينى ، أنا
المتأهب لانزال الاناء ؟ باختصار كراك .. الفكرة !
وبلوف ... يغلى لبنى وينسكب وكأن الشيطان فى أثره

بلیال : الشيطان .. جاهز !

(كل الشياطين يتقصعون ويضجون بالضحك)

ميفيستوفيليس : هذا واضح .. إنها روح اللبن ...

الخادم : هل تظن هذا ياسيدى؟ بكل تأكيد هو ذا .. روح اللبن.،
اسمح لى ، أنا موافق على هذا الرأى .. أنا لم أتم دراستى
ولكنى قوى الملاحظة .. نعم ياسيدى.. يوجد بكل تأكيد

فى كل الأعمال لحظة لا تذكر من الوقت .. لحظة ضئيلة جدا ... أضأل من الضآلة من وقت الشيطان .. لحظة كافية بالضبط لارتكاب حماقة كان الواحد يتجنب وقوعها تماما ومحافظا عليها جيدا فى داخله على حدة ... مهيمنا عليها .. أوه .. متأكدا كل التأكيد بأنه لن يرتبكها .. كانت عينى عليه ... أى والله، ثم بوف .. فار .. قفز .. فاض .. كل لبن البراءة ، وانسكب على الفحم (يضحك الشياطين) ياللريح فى هذا المساء ... انظروا إلى ريح الشيطان هذه ... نعم .. بهذه الطريقة على أى حال، يجد الطيبون أنفسهم فى كثير من الأحيان قد تحولوا إلى مجرمين دون أن يدركوا كيف ولماذا ؟ يحدث فى رؤوسهم فجأة شىء ضئيل كأنه من وحى الشيطان وكرائك ! تقع الحماقة دون أن يكون قد دبرها أحد .. ومن الذى دبرها ؟ لا أحد . وبهذه الطريقة يقعون فى المعصية ... ويصبحون فيجدون أنفسهم فى غمرة البؤس ...

ميفيستوفيليس : غالبا ما يجدون أنفسهم فى غمرة السعادة

الخادم : نحن دائما مغفلون ياسيدى .. لكن ألسنا هكذا جميعا إلى حد ما ... فى هذا العالم ؟ أقل القليل من لحظة الشيطان ..

ميفيستوفيليس : ها نحن مفهومون ...

جونجون : إضطراب فظيع ! بلوف ...

الشياطين (فى نفس واحد) بلوف

الخادم : هل تسمح الآنسة بالمجيء معى ؟ أظن سيدى الاستاذ أمر بأعداد المائدة . غدا يوم السوق وسترحل الطاهية فى الصباح الباكر .

لوست : أنا آتية .

(تخرج بقوة يتبعها الخادم الذى يفتح لها باب مؤخرة المسرح مفسحا لها الطريق . فى اللحظة التى يمر فيها من الباب ليخرج بدوره يقفز بلياك ويطفىء له المصباح . ظلام)

الخادم : انظروا ... انظروا

الشياطين : الينا الينا .. يا بلبلة

ميفيستوفيليس : (بصوت مرتفع) : هيلا ! هيلا ! هيلا ! شقاق ! هيلا .. فوضى ! أوتوم بوتوم

الشياطين : إلينا إلينا . يابلبلة

(ضوضاء كثيرة .. ضحكات .. صرخات .. صيحات فى الظلام)

المنظر الخامس

ميفيستوفيليس — التلميذ

(التلميذ مازال نائما ورأسه فوق الكتاب)

ميفيستوفيليس : لوست كانت تبحث عن كتاب ... عن كتاب كى لا تفكر ... التفكير هو ما يمارسونه حينما لا يمارسون

شيئا ... فتاة غريبة ... تفكر فيمن ؟ فى أى شيء ؟
فى فاوست ؟ فى فاوست بقصد المتعة ؟ فى فاوست المحطم
الفاشل فى الحب ؟ لا لا ... إنها فتاة غريبة (يقف وهو
فى غاية الاهتزاز والحيرة) لا أدرى ماذا تريد من فاوست .
بين رجل وامرأة لا يوجد إلا ثلاثة احتمالات .. هى نفسها
لا تعرف.. سوف أعرف أنا حالا وما دامت لاتعرف،
فهى بالنسبة لى غامضة أنا الكائن بلا جسد .. أنا الذى
لاينام ولا يفكر ... بمجرد أن يبتعد هؤلاء المجانين البؤساء
عن الغريزة ، أتوه أنا فى أهواء وعقم أو عمق انفعالات
رؤوسهم التى يسمونها افكارا . لقد تهت فى هذا الفاوست
الذى يبدو أنه يفهمنى ،فى معظم الاحيان، خلافا لما يجب أن
يفهمنى ، وكأنه يوجد عالم آخر غير عالم الآخرة ... فهو
يحبس نفسه هنا ويتسلى مع مايوجد فى الذهن ويحرك ويجتر
هذا الخليط مما يعرفه وما يجهله مما يسمونه فكرا ... كانت
تبحث عن كتاب ... كتاب كى لا تفكر ... إنها تماما
مسألة تفكير ... إنها لا تعرف ماتريد وتريده بكل قواها ...
وما تريده يضنيها ... أفهذا نوع من العذاب لا أعرفه
أبدا ؟ لقد تهت ... تهت فى عقل فاوست وفى نفس لوست..
توهان الشيطان ... أنا لا أعرف التفكير وليس لى عقل ..
ولهذا السبب فأنا لا أعرف إلا واجبى ... على بالآخر
الآن .. ببساطة جدا (يؤدى حركات سحرية فوق النائم)
هوب .... ! هيرى .. هوب ! عد ... فلتولد من جديد ..
عد إلى الحياة ... استرجع يديك وعينيك وشفتيك ...

هأنذا أحطم دائرة ظل النوم ... أيتها القوى تجمعى ..
ياشرارة الحقيقة أضيئى من جديد هذا الأبله .... هيرى ...
هوب !

التلميذ : (وهو يتمطى ويتثاءب ويفتح عينيه باتساع — تضىء الثريا النحاسية) آه .. آه (يتثاءب) ما أكثرها من كتب . لم أقرأ قط بمثل هذه الكثرة . أوف (يرمق ميفيستوفيليس) عجبا .. الا تزال هنا ؟ لقد تركتك ... وبمجرد أن تركتك هأنذا أجدك ثانية ... أمر عجيب . كنت نائما دون شك وأحلم بك

ميفيستوفيليس : لا .. كنت تقرأ .. فقط كنت تقرأ عن كتب جدا وأنفك مدسوس فى هذا النثر الصفيق ..

التلميذ : أنفى ؟ عجبا ... القراءة أول كل شي ليست إلا ذهاب وإياب الانف الذى يتجه من اليسار الى اليمين ويطير من اليمين إلى اليسار .. إن المؤلف يرغم الانف الذى لايرضخ دائما ... المهم قراءة أو لا قراءة ، كان حلما لذيذا ... خرجت من شعر لذيذ ياعزيزى لا من نثر صفيق .

ميفيستوفيليس : لم يكن النثر قط إلا أسوأ مسلك ياعزيزى . وماذا بعد ؟

التلميذ : وماذا بعد ؟ لكن كيف تفسر الشعر ؟ كيف تعبر عنه . لايوجد اسم لهذه المتعة .. متعة جديدة يشوبها الاسى فى بعض الاحيان .. لكنه أسى لذيذ .. كنت أستشعر فى لحظاته سعادة داخلية مع إحساسى الحاد بأننى ألقى بنفسى نحو غاية دانية ... نحو أى موت غير مفهوم كان يحتم

نفسه فى فزع أكثر فأكثر ... موت مبعثه قوة الشعور ..
لا .. إنه شىء لا يمكن وصفه ... أقول أشياء غير معقولة

ميفيستوفيليس : ياسيدى اللامعقول له حججه التى يشك فيها العقل .

التلميذ : ومن هذا .. كنت أفقد صوابى فى اضطراب مسكر لتقارب لطيف أو منعش حيث كانت اليدان اللتان كنت أظنهما فى جسدى تمسكان وتلمسان وتخطئان وهما تتحسسان قسمات جسد تمثال حى لفينوس ذائبة .

ميفيستوفيليس : خذ حذرك من الحب ... أرجو ألا تكون هذه القسمات قط قسمات امرأة كايزابيل(١) .. لم يكن شعرك إلا ابتداعا للقوى الشابة فى مثل سنك .. كل تلك القسمات الساحرة .. وتلك الاعضاء الحلوة تفسر نفسها جيدا .. هذا الحلم كله مملوء بالوعود ...

التلميذ : (مرددا) وأخلفت الثمار مواعيد الورود

ميفيستوفيليس : آمل هذا ... إنه رأى الطبيعة العطوفة .. وهى تعرف عن هذا اكثر مما يعرف فاوست ياصديقى الشاب ... وأنا ماذا كان دورى فى تلك المذبحة العاطفية ..؟

التلميذ : أنت؟ هذه وحدها قصة. لكنى أكاد أنساها. عند هذه النقطة بالذات ينقطع الخيط وتموت ذاكرتى .. كل ما أذكره

---

(١) ايزابيل هى زوجة أخاب آخد ملوك بنى اسرائيل وام عطالى التى قتلت بناء على أمر يوحنا النبى والتهمت جسدها الكلاب . وقد وردت هذه القصة فى الانجيل ، كما وردت فى دراما راسين المشهورة فى ذلك الحلم المشهور الذى رآه بطل هذه الدراما فى نومه .

فقط هو أنك نفذت إلى هذا الشيء العجيب فى أشد اللحظات عاطفية فحدثت اليقظة ..

ميفيستوفيليس : أنا ؟ أفصم عرى الغواية ؟ لا يمكن .

التلميذ : حينما أقول أنت ... فقد كنت أنت ولست أنت .. كان عملاقا جافا نحيلا بشكل غير معقول .. أكثر نحافة منك وأسود ... أسود كقطعة فحم لامعة ... وعلى أى حال فقد عرفت أنه أنت ..

ميفيستوفيليس : فى الحلم كما فى الحفل التنكرى .. يحتمل أنها كانت حلة لابد منها للتحرك فى كرنفال حريتك الليلية

التلميذ : لكن ربما لا أزال أحلم .. ماذا أفعل هنا ؟ وكم الساعة الآن ؟

ميفيستوفيليس : إنها الساعة التى يجب أن تكون .. الساعة التى يجب أن توجد كى تصير الاشياء التى يجب أن تصير مع بعضها مع بعضها .. ولكى لا تتسلى أبدا الاشياء التى كانت ، مع الاشياء التى تستطيع أن تكون ... لماذا احتجزتك تحت هذا السقف ؟ لدى أسباب تدعونى إلى التفكير فى أن الدكتور يشعر ببعض الأسف على الاستقبال الفاتر الذى استقبل به شابا متحمسا جاء من بعيد جدا كى يعرب له عن حبه .. ولن يغضبه أن يزين بعض الشيء الانطباع المتسرع الذى استطاع أن يتركه فى نفسك عنه .. فهو غالبا ما يرجع الى نفسه كأى رجل عظيم .. ثم فكرت — سواء أكنت مخطئا أم على صواب — فى أنه ربما يهمك ،

وأنت كما يبدو لى مستعد دائما للابتسام لمباهج الحياة ، أن تتعرف على فتاة شابة فى حيرة من أمرها ولها دون شك أحلامها مثلك تماما .. فتاة جذابة تعمل سكرتيرة للدكتور .

التلميذ : سكرتيرة الدكتور ؟ كيف ؟ ألا تكون أنت .. أنت .. ربما .. والد هذه الفتاة وتفكر فى استقرارها ؟

ميفيستوفيليس : أنا ؟ ليس لى أولاد بكل أسف

التلميذ : لكن .. لا بد وأنك تقوم بدور معين هنا .. إلى من أتشرف بالحديث ؟

ميفيستوفيليس : إلى العملاق النحيل الأسود ..

التلميذ : لا يمكن : !

(يهز كتفيه)

ميفيستوفيليس : من أكون اذن ؟ لن تصدقنى اذا قلت لك .. على كل حال هذا غير مهم .. ثم إن تعريف الانسان بشخصه للناس يعنى دائما خداعهم ..

التلميذ : عجبا .. لكنك تؤدى عملا ما فى هذه الحياة ؟

ميفيستوفيليس : فى هذه الحياة ؟ (بصوت مكتوم) كريك ، كريك ، هوم .. أؤدى فيها عملا .. قليلا من كثير .. ما دمت أقدم مايريده الناس .. هل تسمعنى ؟ مايريده الناس .. بل حتى أدفعهم إلى مايريدون .. أنا أستاذ الوجود .. أعلم حب ما يحب .. والهرب مما لا يحب .. أعين على الحياة من يحبون الحياة .. والتخلص منها بالنسبة لمن اكتفوا منها ..

	أمنح الرضى .. أخدم .. اعتبرنى من أشد المتشدقين بخدمة أخوانهم رزانة .. أصلح لعمل كل شيء .. لما يؤخذ وما يترك وما يعد خيرا .. وسواء نجحت أو لم انجح فانى أجازى بنكران الجميل دون أقل ندم على مافعلت .. على العكس إنهم بمنجاة عن المضايقات التى قد تصادفنى فى سبيل قضاء حوائجهم أو تحقيق رغبتهم أو مضاعفة يأسهم..
التلميذ :	أنت تقريبا كسلاح الجريمة أو الانتحار فى يد الرجل اليائس ..
ميفيستوفيليس :	يا لها من مقارنة مضبوطة .
التلميذ :	المهم .. تعمل باخلاص من أجل الجنس البشرى ؟
ميفيستوفيليس :	أنا الصديق الوحيد لهذا الجنس .. ليس أعز عندى من أن أقدم لكل من يريد منه كل دواعى السرور المستطاعة .. أزين الحياة وأبسطها وألهى وأمجد الحناة أو أجللها بالسواد. وفى كلمة واحدة : أخدم ..
التلميذ :	أنت تخدم ؟ كان هناك فيما سبق من الزمان ملاك عظيم ساقط ، صاح متحديا السماء : « لن أخدم » وكان مغترا بنفسه ، شديد البأس . وقحا .
ميفيستوفيليس :	(فى تواضع) لقد حدث هذا فى زمان غابر ... أما أنا فأخدم . أخدم من يريد ، وأخدمه فيما يريد .. أخدمه فى الحال .. دون ثرثرة ، ودون مساومة ، ولا ألقن من أخدم مبادىء الأخلاق .. وبالاختصار أنا أفعل الخير .. أفعله بنفس اللذة التى يفعل بها الناس الشر عادة ..

التلميذ : شيطان .. !

ميفيستوفيليس : ماذا ؟

التلميذ : أقول : شيطان

ميفيستوفيليس : هل هو نداء ؟

التلميذ : طريقة فى الحديث أو نوع معين من الأسف بدر منى

ميفيستوفيليس : ماذا ؟

التلميذ : نعم .. لم يعد للشيطان أى وجود .. وقد كان الرضى بعينه .. كان بمجرد أن يذكره الانسان يأتى اليه مهرولا .. فيبيع له نفسه .. ويغمره بجمائله .. ثم بعد ذلك ينقض فى اللحظة الشيطانية المناسبة ليفعل ما كان يجب عليه أن يفعله .. ينشب أظفاره فى هذه النفس العزيزة الخالدة ..

ميفيستوفيليس : كاللص .. كالأنذال .. آه .. كالأوغاد .. الفردوس .. الفردوس مصير هؤلاء الذين أحتال عليهم

التلميذ : بينى وبينك .. أليس هذا ما هو شائع بين الناس، وفى الأدب، فيما يتعلق بأستاذنا العظيم فاوست ؟

ميفيستوفيليس : أنا .. لست متأكدا من شىء .. أنت تعلم أنه رجل عنيد هذا الدكتور ؟

التلميذ : النهاية .. لا يوجد فى زمننا هذا شيطان أو أرواح .. وهذا شىء مؤلم للغاية .. كان فى منتهى البساطة وفى منتهى الوضوح وفى منتهى السهولة أن يبيع الانسان نفسه بشرط ثم يستعيدها فى أسفل سافلين عند تصفية الجسد .

ميفيستوفيليس : يستطيع الانسان دائما أن يحاول .. افرض أن هذه الشخصية المشهورة التي تتحدث عنها لا تزال موجودة بشكل ما .. فماذا تفعل ؟ لا تعرف أبدا .. أليس كذلك ؟ أنا شغوف جدا لمعرفة ماتطلب منها ان تؤديه لك .. هيه ؟ (ينحنى كالبائع الذى يريد تقديم سلعة) المهم أنه لم يكن يعيش ككل الناس ، ككل العظماء ذاتهم إلا بفضل الثقة التى كانت ممنوحة له .. إذن .. قل العبارة المشهورة التى كان يقولها الناس فى العصور الخالية : إلى بالشيطان .. ثم اطلب ماتتمنى وسترى ..

التلميذ : ما أتمنى ؟ ما الذى أتمنى ؟ الاختيار محدود .. نفس فقيرة جدا فيما يتعلق برغباتها .. خذ عندك .. هأنذا أعد على أصابع يد واحدة .. أن أكون قويا

(يعد الاثنان معا على أصابعهما)

ميفيستوفيليس : واحد

التلميذ : وسيماً

ميفيستوفيليس : إثنين

التلميذ : محبوباً

ميفيستوفيليس : ثلاثة

التلميذ : غنياً

ميفيستوفيليس : أربعة

التلميذ : استاذا

ميفيستوفيليس : خمسة .. خمسة أصابع .. هذا كل ما تتمنى

التلميذ : هذا فيما عدا ثلاثة أشياء لا يمكن أن تتحقق .. وهى أن أصبح قويا ووسيما للغاية ومحبوبا

ميفيستوفيليس : خذ حذرك من الحب

التلميذ : أنا شخصياً كفيل بهذا .. لكن أن أكون محبوباً عن طريق الشيطان .. فهذا لا .. لا لا .. شكراً .. أنه عين الانحطاط

ميفيستوفيليس : أكثر من واحد فيما أعتقد رأوا فى هذا الحب عملا عظيما.. ربما تصبح ذات يوم أقل عناداً ..

التلميذ : لا ياسيدى، فى مسائل الحب لا يسمع الشيطان شيئاً .. لا يرى فيه إلا النار ..

ميفيستوفيليس : نار السعادة !

التلميذ : لا يرى فيه غير لحظة متأججة يلقى الناس فيها بأنفسهم أزواجاً ليحترقوا باللهب كالحشرات .. وهم يظنون فى هذا غاية يمكن الوصول إليها بالهدايا والكلمات الطيبة والحلوى والشراب؛ إكسير الحب .. يالها من سذاجة بلهاء .. لكن كل هذه الوسائل الصغيرة المألوفة والمعروفة لا تمنحنى الحب الذى أنا فى حاجة إليه .. أريد حباً كبيراً .. حباً من ذلك النوع الذى يحملك على الاحساس بأنك تعيش بقوة أغنية .. ترنيمة !

ميفيستوفيليس : ماذا ؟

التلميذ : ألا تفهم ؟

ميفيستوفيليس : أبداً

التلميـــذ : لست ماكراً

ميفيستوفيليس : إلى حد ما على أى حال .. كما يقولون عنى

التلميـــذ : لست أكثر مكراً من الماكر ذاته .. لابد وأنك تشتغل فى الأعمال إياها أنت أيضاً ؟

ميفيستوفيليس : فى بعض الأحيان : الحمل على الاحساس بالعيش بقوة أغنية .. ماذا يمكن أن يعنى هذا ؟

التلميـــذ : رح اسأل البلابل ..

ميفيستوفيليس : طيب .. لندع الحب والطيور الصغيرة .. وماذا عن المال ؟

التلميـــذ : أشكرك .. أعرف ما يساوى.ولكنى أعرف ما يبذل فى سبيله .. إنه بكل بساطة يقطعك .. فلو أننى ورثت غداً ماذا أفعل فى نفس هذا الغد ؟ سوف أتحول فى الحال إلى بخيل وإلى سفيه .. نموذجان مستهلكان فى الملهاة البشرية .. سوف أشترى فندقاً وقصراً وفتيات وتحفاً رائعة ، أختارها جيداً ويختارها لى الآخرون .. توجد ألف طريقة وطريقة لتصفية الثروة الكبيرة التى آلت إلى .. أفعل ما يفعله الآخرون لأن الانسان يفعل ما يريده المال .. فيشترى الأشياء التى تقدم نفسها للشراء .. وهى دائماً نفس الأشياء .. الأشياء التى تتساوى عند الدفع : أصالة تساوى لؤلؤة .. وهذه اللؤلؤة تساوى سيدتين ، وهاتان تساويان ما تساويانه وهكذا .

عملية تجارية بحتة يجوز فيها كل شيء .. الأشياء .. الناس ..
التسلية .. الضمائر ..

ميفيستوفيليس : كل شيء .. كل شيء .. كل شيء ..

التلميذ : لا .. ليس كل شيء ! المهم .. بمجرد أن يصبح الانسان غنياً يغير أصدقاءه وأحياناً اسمه ودائماً مزاجه وذاته.. عملية انفصام حتى عن الذات ..

ميفيستوفيليس : ها ها ها .. فهمت .. تعجبني أيها الشاب الفذ الذى يريد أن يحقق ذاته فى الحب الطاهر واحتقار الذهب ؟ .. بحق كل الشياطين .. أنت ترمى إلى بعيد جداً .. إنه الكبرياء يسيطر عليك . الكبرياء أمير الخطايا .. ها ها ها .. فهمت .. فيك تفرد .. الكبرياء .. الكبرياء .. أقصى الخطايا .. الكبرياء الذى يرنو إلى الشمس ويسخر كل الفضائل لخدمته .. يجعل منها خادمات له . يتسلى بكل المواهب ويسعى فى طلب التجارب .. يعرف كيف يتخفى ويستحصد خلف تواضع مدهش .. يرتدى مسوح القديسين والأتقياء والأبطال والشهداء وكل من سار فى طريق هؤلاء المزعجين.. ها ها ها .. أنت لا تعرف إلى أى حد أقدر هذا السم الذى لا مثيل له حق قدره ، والذى كان ناجعاً فى غواية الأقوياء .. آه لو تعرف .. آه لو تعرف (صمت ، مغمضاً عينيه فى خشوع ماطاً العبارات) إنه يسرى سريعاً يودى من عل .. من أعلى عليين فى بعض الأحيان، لدرجة أن هذه السقطة

تجد لها عرشاً فى الهاوية (صمت طويل) ماذا تتمنى أخيراً ؟

التلميـــذ : أتمنى أن أصبح عظيما

ميفيستوفيليس : فى أى شئ ؟ ومثل من ؟ فللعظمة وجوه كثيرة

التلميـــذ : مثل فاوست

ميفيستوفيليس : مثل فاوست ؟ لكن ألا ترى كم هو حزين موزع القلب ؟

التلميـــذ : من حقه أن يكون أكثر من هذا طالما لديه داع لأن يكونه .. نعم .. مثل فاوست .. السيطرة على الروح بالروح .. بروحى

ميفيستوفيليس : ولم لا .. أنا أحبك

التلميـــذ : بكل أسف .. مستحيل

ميفيستوفيليس : مستحيل ؟ ربما فى نظرك وحدك .. ألست هنا معك وقريب منك .. فى كيانك تقريباً .. بل وبصورة أكبر من الدكتور ؛ هذا البخيل ؟. أساند وأنصح .. وقد قلت لك إننى أخدم

التلميـــذ : تنصح ؟ أنا لا أبالى بالنصائح ، واستخدامها كوسيلة للاقلاع عن شىء ؟ ثم إن الانسان يجب عليه أن يعرف كثيراً .. يعرف كل شىء .. يعرف بقدر ما يستطيع إنسان هذا المجتمع أن يعرف .. المعرفة ، القوة ، الارادة .. هذه هى المفاتيح الثلاثة ..

ميفيستوفيليس : المعرفة أولا ؟ المعرفة ؟ انظر إلى هذه الجدران (تضاء مؤخرة المسرح وتبدو فى العمق حجرة المكتبة المتسعة مضاءة

مغمورة بالكتب) لى الشرف أن أقدم لك كل ثمرة عقل الجنس البشرى.

التلميـــذ : يالها من كتلة مقززة ! لقد قالوا كل شيء .. كتب كتب ! يالها من قبور أدبية ..

ميفيستوفيليس : أى شيء لم يبق دون تفكير قط حتى يفكر فيه الانسان .. !!

التلميـــذ : كل هذه الأسفار المذنبة المدبرة بظهورها تماماً إلى الحياة .. يعروها الخجل والندم على أنها كتبت .. فكم هناك من آمال وادعاءات واطظبار واهتياج مجانين ! ! ولكم استلزم هذا من تصورات ورغبات وضنى وسرقات ومصادفات لتكديس هذا الكنز المشئوم لمؤكدات منهارة، واكتشافات عفى عليها الزمن، وجمال ميت وهذيان خامد ! ! ثم كم من هذه الأسفار أمكن فهمه بقلب أو بطموح مجنون يجعل الانسان ينسى كل ما ما حوله ! هكذا يرتفع قرناً بعد قرن صرح الأمية الهائل ! !

ميفيستوفيليس : يالها من كلمة متشائمة !

التلميـــذ : الصمت الأبدى لهذه الكتب التى لا تحصى يخيفنى ..

ميفيستوفيليس : هيا .. لا تجعل اليأس يتسرب إلى نفسك .. أنا هنا .. قريب منك .. قريب جداً منك .. فى كيانك تقريباً .. أنا أنت تقريباً ..

التلميـــذ : لكم هى رحبة هذه المقبرة الروحية .. ! كل هذه الأسفار حتى الهزيمة .. كل هؤلاء الموتى حتى القتل ..

ميفيستوفيليس : عجباً .. إنها مغلوبة على أمرها كل هذه المجلدات بجلد العجل .. تغذى الدود .. تنتظر الحرق .. إنها هنا أشياء معدة للفناء عن كونها أعمالا خالدة تعانى فى الترك أولا تجربة الموت البطىء .. كل شىء يتغير حول هذه الكلمات المبلورة التى لا تتغير ، والتى يحيلها أقل بقاء بالتدريج إلى تفاهة ولامعقولية وسذاجة واستغلاق ، أو مع بعض الاشفاق والحسرة ، إلى كلمات تقليدية ..

التلميـــذ : بقاء أو لا بقاء .. هنا المسألة ..

ميفيستوفيليس : يا عزيزى .. توجد حالة بقاء هى نفسها حالة عدم بقاء .. خذ مثلا ، انظر قليلا هنا .. كل هؤلاء الشعراء ..

التلميـــذ : أرى ظهورهم جيداً ..

ميفيستوفيليس : إنهم صامتون جميعاً إلى الأبد .

التلميـــذ : إلى الأبـــد ! بيندار .. فرجيل ؟

ميفيستوفيليس : إلى الأبد ! إلى الأبد ! إنهم الصمت الأعظم .. لم يعد أحد فى هذا العالم يحسن الشدو بأغانيهم أو التغنى بأصواتهم .. كل علمائك نسخ مهزوزة منهم ..

التلميـــذ : سوف يبقون بقدر ما يستطيعون .. وكل هذا الجدار هناك ؟

ميفيستوفيليس : هنا يجثم الزمن .. بعض محفوظات الزمن .. هناك تاريخ العالم . حىّ أيها الشاب ! أنظر إلى البطل ومؤرخه ، كليهما ميت .. هنا تمتزج الأكذوبة بالحقيقة امتزاجاً قوياً أكثر

من امتزاج الموسيقى بالكلمات .. لم يعد الاسكندر أقل تخيلا من ثيسى ، ونابليون المساوى لهرقل ، لم يعد هذا أو ذاك إلا ورقاً مسوداً بالمداد ، وأثرهما فى الأذهان حيثما وجد ومالم يوجد يعيش أيضاً نفس اللعبة الساذجة ...

التلميذ : أحس بالاغماء .. كل هذا الخليط أمام عينى اللتين تعتقدان أنهما تنظران الماضى .. روث قرون تتصاعد منه فى كل لحظة رائحة الندم والتأنيب والشكوك ودخان العظمة الذى يتبدد ، والرفعة التى تنهار .. وهأنذا أرى جيداً أن كل أدوار اللعبة تمنى بالخسران .. لكن هذا الخسران آخر الأمر ، ليس أقل تحريكاً للمشاعر أو أقل ذيوعاً من النصر .

ميفيستوفيليس : لم لا ؟ إن الحوادث زبد يذهب جفاء على سطح خضم حاجات البشر .. ولا يستطيع الانسان أن يخرج منها إلا ببعض كتابات ينسج حولها الطيبون من الناس ، كل ما يروق لهم .. ينتحلون الأسباب .. كدودة القز .. لكن .. انظر قليلا هذا الجانب الآخر .. هنا ركن الظلمة حيث العناكب الضخمة ..

التلميذ : (متجهاً يقرأ العناوين والأسماء) هيراكليت .. المؤلفات الكاملة .. لا يوجد غير فاوست يملك مؤلفات هيراكليت فى عشر مجلدات .. عجيبة ! ديكارت .. بحث فى رثاء العقل ! عجيبة .. لا يبتر .. لكن هذا ركن الفلاسفة ..

ميفيستوفيليس : نعم .. ركن النساك الثرثارين .. يمزجون بمائة طريقة مالا يزيد عن اثنتى عشرة كلمة ، متوهمين أنهم سيؤلفون

بها كل شيء ويفسرونه .. وبهذه الطريقة يتبعون النصيحة التي أسداها لهم أحد الحكماء ، وهى أن يعملوا على التشبه بالآلهة ..

التلميـــذ : حكيم ملتو ..

ميفيستوفيليس : أشد الحكماء دهاء .. لم يفهموا أنه كان يقصد شيئاً آخر غير التأليف الذى ما هو إلا وسيلة لتغطية ضعف المؤلف ذاته .. يكفيهم أن يستمع بعضهم إلى بعض بما يكفى ، حتى يثبتوا عدم اتفاقهم الذى ليس سوى علة وجودهم . وفيما عدا هذا ، فإن لعبتهم تقوم على التظاهر بجهل ما هو معروف ، ومعرفة ما هو مجهول.. انظر.. هناك بعض أصول العالم والحياة .. حسب مزاجك .. لكن هناك ما هو أحسن .. هناك المجموعة الجليلة ..

التلميـــذ : أى مجموعة ؟

ميفيستوفيليس : آه .. كيف أفسر لك ؟ كل الكتب المقدسة لمختلف العصور ومختلف الملل والنحل .. وكل كتاب منها يقرر أن جميع الكتب الأخرى خرافات. لكن فى الخلف فى دائرة ظل الظل توجد الحقائق المقدسة .

التلميـــذ : هذه الكتب السوداء ؟

ميفيستوفيليس : المعرفة الوحيدة التى تستحق بذل كل شىء فى سبيل الوصول إليها .. المعرفة الحقة .. إنها كتب السحر .. افتح أحدها إذن .

التلميـــذ : إنها الفاكهة المحرمة .. أراك تغرر بي ؟ لكنني أسخر من كل هذه الخزعبلات .

ميفيستوفيليس : إنها المعرفة المظلمة .. لدينا هنا كثير من الأشياء الأخرى .. إعلم جيداً أن خزائن الدكتور تحوى كثيراً من الكتب .. تلا من العلوم .. أنا شخصياً أتوه فيه .. جيو هنا .. جيو هناك.. متريا (١).. نومياً .. لوجيا.. جرافيا .. تيكيا.. ستيكيا .. باختصار ما تسمى به كل النباتات والحيوانات والقواقع والأصداف والأحجار والنجوم . وما يستخدم لمعرفة اللانهايات والفراغات عند الحاجة . وما يستخدم لحساب قطرات البحر وما يفيد مقدماً أن التفاحة التي تسقط لن تعود أبداً وحدها إلى الشجرة ، وما يبرهن به على أن ثعباناً ما يمكن أن يكون جداً لامرأة فاسدة وأن هذا التجول غير معقول بالمرة .. ثم ..

التلميـــذ : كفى كفى .. تسقط الكتب ! كلها .. لوجيا .. وجرافيا .. ونوميا .. إلى الشيطان كل هذه الأشتات

ميفيستوفيليس : لا فائدة .. الشيطان لا يريد شيئاً من هذا ..

التلميـــذ : إن رأسي ليدور أمام جبل روث العقل هذا .. كيف يصل الانسان إلى قمة جبل بهذا الشكل .. ! هأنذا يائس .. أهرب .. أتخلى ..

ميفيستوفيليس : هلم إلى .. هأنذا .. أقول لك هأنذا .. قريب منك .. جدا .. فى كيانك تقريباً

(١) اشارة الى المقاطع الاولى أو الاخيرة من الاسماء العلمية مثل جغرافيا وجولوجيا وطبوغرافيا .. الخ

التلميـــذ : هل قرأت كل هذا ؟

ميفيستوفيليس : أنا ؟ لا أعرف القراءة

التلميـــذ : فى مثل سنك ؟

ميفيستوفيليس : على أيامى لم يكن أحد يفقه القراءة .. كان الناس يحزرون .. لهذا كانوا يعرفون كل شىء .. وعلى أى حال فقد جنيت أنا شخصياً فائدة كبيرة باستعاضتى عن معرفة الكتب نفاذى الداخلى إلى كيان مؤلفيها .. كل هؤلاء الكتاب لهم خفاياهم الطموحة ومعاييرهم الباطنة وخباياهم ونواياهم السيئة وتشككهم فى الخطورة المهددة لسرقيمتهم الذاتية .. هذه موعظة بليغة أعظك بها .

التلميذ : لا لا .. إننى أترنح تحت وطأة عبء كل هؤلاء الآخرين الذين أرادوا لأنفسهم ما أريد .. والذين استطاعوا ..

ميفيستوفيليس : لكن لا .. لكن لا .. أنا معك .. تقريبا فى كيانك .. اصغ إلى .. أنا نيتك الخالصة .. أنفذ اليها وأثريها بتجربتى .. اصغ إلى .. كل هؤلاء الآخرين ماعادوا شيئا .. أصبحوا هنا كتلة ظلال لا طائل تحتها وأنت الوحيد الحى تماما .. أنت اللحظة نفسها تقف على قدميك أطول من جسدك المزهو ومن رأسك الممتلىء قوة ، أنت تتحدى كل هذا .. أربعون قرنا من الكتابة تحسدك .. تشجع .. أشعربأنك أمير هذا اليوم .. ! لا شىء يفوق قوة الانكار والاحتقار وطاقة الكبرياء البكر التى ترتفع فى قلب شاب طموح

لم يفعل شيئا بعد .. أية قوة هذه فى عدم فعل شىء !
تعرف جيداً أنه لا شىء أكثر جمالا من الشىء الذى
لم يوجد .. هاهاها ! هل تشعر بهذا .. هية ..؟ لا يوجد عمل
عظيم دون أن يكشف بسرعة للعين الحاسدة عن كثير من
الشرور والنقائص ونقط الضعف حتى لا ييأس من الشهرة
إلى الأبد هاو جديد .. اصغ إلى : كل هذا الماضى بمعجزاته
المستهلكة البالية المحزنة لا حول له ولاطول تجاه بداية
ازدهار عبقرية تستحصد .

التلميذ : أعتقد جيداً انك تغرينى .

ميفيستوفيليس : ولم لا .. ؟

(فى بداية نهاية هذا المشهد يشاهد ميفيستوفيليس أثناء
حديثة يقفز هنا وهناك كالقط المتوحش حول التلميذ) .

التلميذ : (لنفسه) هذا المخلوق يحفزنى على الهرب أو خنقه.

(بصوت مرتفع) قل لى .. أليس بمثل هذا أو بما يشبهه
شدا فاوست بهذه الكلمات المشهورة التى يحفظها كل
الناس عن ظهر قلب ؟

(ينشد) .

قرأت واحسرتاه الفلسفة ..
والطب والفقه ..
واللاهوت لسوء الحظ..
تبحرت فيها بجهد جهيد ..

ميفيستوفيليس : شيء يتعلق بكم .. سواء قاله أو لم يقله .

التلميذ : هل تعرف البقية ؟

ميفيستوفيليس : البقية ؟ ها ها ها .. لكن البقية .. يمكن أن تكون أنت وأنا .

التلميذ : ماذا ؟ أنت وأنا ؟ أنا وأنت ؟

ميفيستوفيليس : ألا تريد أن تصبح مثل فاوست ؟ تسيطر على الروح بالروح ؟ فقط. تتوقف المسألة على معرفة أى روح وأى روح .. وأى هاتين الروحين تسيطر وأيهما يسيطر عليها .

التلميذ نعم .. لا تؤاخذنى .. بدأت أؤمن .. أؤمن أكثر فأكثر بأنك تلهبنى كى تخدعنى .. أنت تتفوه بعبارات مبالغ فيها لا ينقصها الغموض والظلام. أنت تقدم لى وعودا ربما تصبح مزعجة لروحى أو لروحك إن لم أرفيها غير نوع من أنواع الدعابة يتسع نطاقها على حسابى وتمتد .. النهاية ، يا سيدى .. أنا حتى الآن لم أتشرف بمعرفة محدثى .. ما اسمك ؟

ميفيستوفيليس : عجبا .. لا أعرف .. إنهم الآخرون يا سيدى هم الذين يعطوننا اسما . لا يمكن أن يعطى انسان نفسه اسما .. هيه ؟ ما اسمى ؟ أنا لم أعط نفسى اسما بعد .. يسموننى كما يحلو لهم. أنا كما قلت لك خادم الخدم أنفسهم والناس يخلعون على خدامهم الأسماء التى تعجبهم .. كل واحد من منادىّ ينادينى بطريقته .

التلميذ : وإذا سميتك شيطانا مادمنا نمثل قصة فاوست ؟

ميفيستوفيليس : فليكن .. شيطان.. أنا تحت أمرك .
(يرتسم ظل الشيطان الضخم على الحائط) .

التلميذ : أنت ! الشيطان !

ميفيستوفيليس : لكم أنت بطيء الفهم جداً ياصديقي الشاب !

(يختفي ميفيستوفيليس ويظل ظله بعض الوقت في مؤخرة المسرح) .

ميفيستوفيليس : (بصوت آت من القاع يردده الصدى) إلى اللقاء .. لقاء .. لقاء .. لقاء ..

(يلقي التلميذ بكتاب ضخم ناحية الظل الذي يختفي وتضعف الإضاءة ويعود المسرح إلى ماكان عليه في بداية الفصل) .

المنظر السادس

التلميذ وحده

(يروح ويجيء في ربكة عنيفة) .

التلميذ : في داهية أيها الشيطان القذر .. اذهب إلى نفسك .. احمل نفسك بنفسك ! يا له من منزل هذا المنزل .. كلهم مجانين .. كنت آتيا لأستضيء هنا بنور الحكمة .. البيت نفسه مجنون .. هنا النوم لذة .. اليقظة كابوس ..
(يجلس) .

المنظر السابع

التلميذ ــ لوست

(تدخل لوست بمصباحها وبعض الكتب التى تريد إعادتها إلى أمكنتها .)

التلميذ : (واقفا فى احترام) آنستى .

لوست : ألا تزال هنا ؟ وحدك ؟

التلميذ : شكراً لله .. الإنسان هنا الا يعرف ماإذا كان بمفرده ..

لوست : إنها مسألة إحساس .

(صمت) .

التلميذ : ربما تبحثين عن كتاب .. يا آنستى ؟ لا تلمسى شيئا .. احذرى الروح .

لوست : ليست الروح هى التى أخشاها .. كنت آتية فقط لاعادة هذين الشاعرين أو الثلاثة إلى أماكنهم (تنظر برهة إلى التلميذ) يحسن أن تذهب لتستريح يا سيدى .. الوقت متأخر .

التلميذ : أنها الساعة التى يجب أن تكون ..

لوست : الساعة التى يجب أن تكون ؟

التلميذ : الساعة التى يجب أن تكون كى تصير الكائنات التى يجب أن تكون مع بعضها مع بعضها .. من أجل هذا جاء بك أمر ما إلى هنا ..

لوست : الوقت متأخر يا سيدى .. متأخر جداً ..

التلميذ : إرأفى بحالى يا آنستى .. عندى أشياءكثيرة أريد الإفضاء بها اليك .

اوست : لى أنا ؟

التلميذ : لك أنت .. إلى من إذن أستطيع الافضاء بمكنونات صدرى؟ إن عقلى يذهب .. ولايوجد سواك هنا .. أنت المخلوق البشرى الوحيد هنا .. حياة ماثلة .. إنسانة حقيقية .. حلوة .. فى هذا البيت الذى لم أر فيه غير الغيلان منذ أن وطئته قدماى .. لقد جمدنى رجلك فاوست .. جئت هنا مملوءاً بالإيمان .. وجدت نظرة .. صوتا ..

لوست : نظرة ساحرة .. نظرة أكثر اتساعا من كل ما يستطيع رؤيته الانسان ..

التلميذ : لكن بالنسبة لى .. أحالتنى هذه النظرة إلى سقط متاع .. ردتنى إلى نموذج بدون أية قيمة بشرية .. إلى حيوان ناطق.. أنا الذى حملت اليه قلبى..

لوست : آه لو كنت تعرفه .. معرفته جيداً تجعل الانسان يفهم تماما أنه لا يستطيع الحكم عليه .. إنه عظيم جداً .. يحتاج تماما إلى عقل عميق جداً .. كامل جداً .. عقولنا لا تستطيع تعليمه شيئا أو اعطاءه شيئا ..

التلميذ : هذا واضح .. لكن قلت لك أننى كنت أحمل اليه إيمانى.. أملى .. رغبتى الجامحة فى أن أجعله يحس بكل ما أحدثته

عبقريته من أشياء جميلة فى شاب . .بعد كل هذا .. ألست
أنا شخصيا عملا من أعماله .. أنا أيضاً ..؟ لكن هذا الرجل
لم يعد أهلا لأقل شعور .

لوست : هو .. ؟ لكن .. آه لوكنت تعرفه .. مادة مشـــاعرنا
تحولت فيه إلى نور .. هو! لكن مشاعر هذا المخلوق العجيب ،
أنا متأكدة من هذا .. متأكدة تماما.. أصبحت ذات نبرة
أسمى بكثير من المشاعر المألوفة .. حينما يكون الإنسان
آراء معينة ويعيش بينه وبين نفسه مع عدمية الأشياء
وكليتها فى آن واحد .. لكن ياسيدى .. لديه طيبته الرفيعة
ورقته .. على طريقته الخاصة .

التلميذ : هو ؟

لوست : نعم .. أنا متأكدة .. متأكدة تماما .. رقته ! نعم .. لكنها
رقة غامضة تصدر عن عبقرية غريبة هى بالنسبةلها كالعطر ..
ربما يبدو هذا غريبا .. وإذا كان قد بدا لعينيك باردا ،
تائها كالشارد، فما ذلك إلا لداع عنده، أولفكرة سامية
فى رأسه ..كيف تظن أن يكونهذا الانسان العالمى ناقصا..
وأن ليس له دموعه وانطواؤه العجيب ؟

التلميذ : عجبا .. لكم تعرفينه جيداً .. لكن الثانى .. !

لوست : الغول ! آه يا سيدى .. رأيتك منذ قليل تحت سطوته !
كنت نائما تحت يده وارتجفت من أجلك .

التلميذ : من أجلى أنا ؟ يالك من انسانة .. الانسانة الوحيدة بين

كل هذه الغيلان وعوالمهم الثانية التى تبعث المخاوف ...
وهى ليست إلا مخاوفنا لأننى انتهيت إلى الخوف ..

لوست : هذا كل ما يستطيع الغول فعله .

التلميذ : نعم .. داعبنى فى البداية .. لا طفنى .. غرر بى .. كان يلعب بالفأر. وبعد ذلك شعرت بفزع قوة لا قبل لى بها.. وعدنى بكل شىء وحطم كل شىء .. قدم كل شىء وابتلع كل شىء .. أرانى كل هذه الكتب..أوه حسنى .. حسبى من العقل ..

لوست : أبداً .. ليس حسبك ..

التلميذ : عرض على كل شىء .. ومن بين ما عرضه على من هذه الخيرات التى كان يدعى الحصول لى عليها لو أننى أصغيت اليه ، شىء واحد يبدو لى الآن أنه الوحيد ..

لوست : الوحيد ؟ ماهو هذا الخير من كل هذه الخيرات ؟

التلميذ : خير أراه .

لوست : وأى خير ترى هنا ؟

التلميذ : أراك ..

لوست : لا .. أنت لا تزال تحلم ..

التلميذ : أحلم وأصحو .. وأصحو وأحلم .. أرى ما أريد .. وأريد ما أرى .. أليس هذا توافقاً متبادلا ، لو اغمض عينى أوأفتحها فأنت هنا .. أنت ذاتك .. ذاتك .. وانت.. أنت وذاتك .. هل تسمعينى ؟

لوست : أنا ؟ غريبة .. لكنك لا تعرفني قط .. ها أنت بالكاد تراني .

التلميذ : لكنني عرفتك جيداً فى الحال حتى أننى أستطيع وصفك فى كلمتين ..

لوست : أنت عجول يا سيدى.. مجرد نظرة واحدة تكفيك للوقوف على دخائل المخلوقات .. !!

التلميذ : ليست الكائنات الأخرى! ماذا أفعل بالمخلوقات الأخرى! لكنك أنت! أنت .. أنت شفافة بالنسبة لى ..

لوست : (ضاحكة) أنت أيضاً ! شفافة ؟ بالنسبة لك أيضاً .. إذن خبرنى .. ماذا تعرف عنى ؟

التلميذ : يا آنستى التى أكاد أن أكون رأيتها وسمعتها والتى لا أعرف حتى اسمها أو أى شىء عنها ...

لوست : اسمى لوست ..

التلميذ : لوست .. يا له من اسم ساحر ! لوست .. أوه .. فلأحب هذا الاسم الحلو .. لوست .. أوه .. لوست .. أقول لك هذا كما أحسه بقوة ، أنت ..

لوست : خذ حذرك ..

التلميذ : أقول وأرى وأحس أنك بكل بساطة عكس ذلك المخلوق الدنىء السام الماكر الذى أمسكنى هذه الليلة فريسة لعروضه المسممة ..

لوست : أنا عكسه ..؟ غريبة !

التلميذ : نعم بالضبط .. العكس تماما..

لوست : لكنني لست ملاكا ..

التلميذ : آمل هذا تماما .. فليس للملائكة قد أو عيون مثل هذه الغيون أوصوت مثل هذا الصوت .. كما ليس لهم قلب يدق هلعا أو يخفق رحمة من أجل النائم الغريب .. لكن أنت .. انظرى إلى (صمت) اصغى إلى جيداً .. يا آنسة لوست .. إنه لأمر خطير .. أؤكد لك وأؤكد لنفسى إننى لا أستطيع أبداً التفكير إلا فيك .. أبدا .. إلا فيك .

لوست : (وكأنها تحدث نفسها) هذه تماما نصائح الوحش ..

التلميذ : أوه يا آنستى .. يا آنستى .. أنت قلت أنك الوحيدة التى تستطيع إزالة الذكرى البشعة من عقلى .. قلت هذا ..

لوست : لا تؤاخذنى .. لكن ما الذى وسوس به الشيطان اليك؟ كى يضيعنا نحن الاثنين معا ؟

التلميذ : قلت هذا .. فكرى .. ارأفى بحالى كما كنت ترأفين منذ قليل .. فكرى فى هذا اليوم الفظيع الذى عشته وفيما قاسيته .. هذا الفاوست الذى خيب أملى وجرحنى وأسلمنى إلى العدم .. والثانى الذى استحوذ على نفسى بمكره وختله ولف كل أسبابى من أجل الحياة .. لكن أنت .. أنت .. السبب الوحيد .. أنت الحياة ..

أنت الانسانة .. أنت توأم نفسى .. أختى .. أحسن من أخت .

(يريد تناول يدها بين يديه ، لكنها تدفعه برقة) .

لوست : خذ حذرك من الحب يا سيدى .

التلميذ : لا .. لن آخذ حذرى منه .. وسأدع نفسى تحب .. أحبك ..

لوست : فلنأخذ حذرنا من الحب .

التلميذ : تقولينها أيضاً .. لكن هذا الإسم الجميل المخلوق للحب ما هو إلا أغنية على شفتيك .. إنه يحرك كيانى نحو قوة هذه الأغنية .

لوست : نعم .. فلنأخذ حذرنا .. إننى أعرف جيداً ماهو الحب .. إنه خير يؤدى إلى الشر .. الشر الكبير ..

التلميذ : تعرفينه .. إذن فأنت تحبين شخصاً ما ؟

لوست : لا أدرى .. إذهب .أرح نفسك يا سيدى .. أنا ميتة من التعب ..

(تهم بالخروج) ..

التلميذ : ترحلين ؟ آه .. هل تظنين أننى سأنام بعد لقاءات هذا اليوم الثلاثة .. لكن هذا اللقاء يقضى على

(يجلس كمن أرهق) .

لوست : إسمع ياصديقى .. ياصديق ليلة يتيمة .. إسمع .. لا أظننا خلقنا أحدنا للآخر .. أنا متأكدة من هذا ومن المستحسن

أن أصرح لك به .. أليس كذلك ؟ وجدتك صادقا
بسيطا صريحا .. إن براءتك وحديثك قد استحوذا على نفسى ..
ثق انى تأثرت جداً .. نعم .. ترى كل شىء فى يرضيك ..
لكن هذه الرؤية رؤيتك .. تقول إنى إنسانة . ولو أجبتك
بأن بى شيئا غامضا على أنا نفسى ، ولا شىء .. لا شىء
انسانى يستطيع ارضاءه .. انك تعجبنى .. لا تتحرك ..
آه لو لم يكن فى هذا العالم إلا ما يقدمه العالم لكل الناس ..
وددت حقاً أن أكون تلك التى تستطيع الاستجابة اليك
خلافا لما لم أتعوده .. سوف تجد قريبا واحدة .. بالتأكيد ..
إفقد فى هدوء كل أمل هنا .. إن ألمك يؤلمنى (تضع
وجهها بين يديها) أنت حزين ياصديقى ..

التلميذ : ترفعين الكلفة بيننا ؟

لومست : لكى أقول لك وداعا ..

(تخرج مندفعة) .

التلميذ : ها أنت تردينى إلى الشيطان !

(ستار)

فهرست

صفحة

الفصل الثالث

ظهر فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
١ ـ رأس الآخرين	مارسيل ايميه	د . محمد غنيمى هلال
٢ ـ التوحشة	جان آنوى	د . يحيى سعد
٣ ـ القديسة جون	برناردشو	محمد محجوب
٤ ـ بلدتنا	ثورنتون وايلدر	د . محمد اسماعيل الموافى
٥ ـ الليلة نرحل والجرة	لويجى بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
٦ ـ الاستثناء والقاعدة محاكمة لوكولوس	برتولد برخت	د . عبد الغفار مكاوى
٧ ـ العادلون	البير كامى	بسيم محرم د . ريمون فرانسيس
٨ ـ سبع مسرحيات	يوجين اونيل	د . نعيم عطية
٩ ـ رومولوس العظيم	فريدرتش درنمات	انيس منصور
١٠ ـ ليونس ولينا ، فويسك	جورج بوشنر	د . عبد الغفار مكاوى
١١ ـ الشياطين	جون هوايتنج	محمود محمود
١٢ ـ قطة على نار	تنيسى وليامز	د . محمد سمير عبد الحميد
١٣ ـ مركب بلا صياد	اليخاندرو كاسونا	د . محمود على مكى
١٤ ـ جسر آرتا ((الثمن الفادح))	جورج ثيوتوكا	د . نعيم عطية
١٥ ـ أرض النفاق ((كل شىء فى الحديقة	جايلز كوبر	د . محمد اسماعيل الموا على احمد محمود
١٦ ـ الحب الحرام ((المدنسة))	بينا بنتى	د . عطية هيكل
١٧ ـ مدرســــة الأزواج سجاناريل	موليير	د . حسن سيد عون
١٨ ـ هنرى الرابع	لويجى بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
١٩ ـ بعد السقوط	آرثر ميللر	على شلش
٢٠ ـ الميجور باربارا	برناردشو	احمد النادى
٢١ ـ السيد بونتيلا وتابعه ماتى	برخت	د . عبد الغفار مكاوى
٢٢ ـ بيكيت ((شرف الله))	جان آنوى	سعد مكاوى
٢٣ ـ فاوست كما اراه	بول فاليرى	عبد العاطى جلال

تحت الطبع فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
اندروماك	راسين	د . طه حسين
المستجيرات	ايسخيلوس	د . على حافظ
المستجيرات	يوريبيديس	د . على حافظ
هيكابى	يوريبيديس	د . محمد محمود السلاموني
روميو وجوليت	شكسبير	الشاعر احمد رامى
عدو البشر	موليير	د . غنيمى هلال
الحداد يليق بالكترا ثلاثية	أونيل	د . لويس مرقص د . فخرى قسطندي
حسب تقديرك	بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
قيصر وكليوباترا	برناردشو	د . اخلاص عزمى
« الانسان الآلى » أو ١.ر.١٠	تشابيك	د . طه محمود طه
حفلة كوكتيل	ت . س . اليوت	الشاعر صلاح عبد الصبور
لوثر	جون اسبورن	نعيم جاب الله
متعة العيش	وليم ساروريان	محمود محمود
عطيل يعود	كازاند زاكيس	د . نعيم عطية
الغوريلا	يوجين آونيل	د . محمد اسماعيل الموافى
اجاممنون	ايسخيلوس	د . لويس عوض
فى انتظار اليسار	اوديتس	الشاعر محمد أنعم
أورفيوس هابطا	تنيسى وليامز	د . محمد سمير عبد الحميد
روميو وجانيت	جان آنوى	يحيى سعد
انشودة الحب العذبة	ساروريان	د . وليم الميرى
العنقاء ، السيدة ليست للحرق	كريستوفر فراى	شفيق مقار
أنطونيوس وكليوباترة	وليم شكسبير	د . لويس عوض
بستان الكرز	تشيكوف	نجيب سرور
زواج فيجارو	بومارشيه	فتوح نشاطى أنور فتح الله
مدرسة الفضائح	شريدان	حكمت عباس
نزوة العاشق ، الشركاء	جوته	د . مصطفى ماهر

تحت الترجمة لهذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
عطيل	شكسبير	د . عبد القادر القط
دون جوان	موليير	يحيى حقى
سائر مسرحيات	موليير	يحيى حقى
سائر المسرحيات	اليونانية	د . على حافظ
سائر المسرحيات	اليونانية	د . محمد محمود السلاموني
حالة الحصار	البير كامى	د . فؤاد زكريا
المسوسون	البير كامى	اسماعيل المهدوى
الجلسة سرية	جان بول سارتر	د . فؤاد زكريا
شهادة لا تقبل	جون اسبورن	د . شوقى السكرى
سائر مسرحيات	جون اسبورن	د . شوقى السكرى
بيت آل روزمر	ابسن	د . عبد الله عبد الحافظ
الشـاذ	براندين بيهان	نعماه عاشور
الرهينة	براندين بيهان	د . عادل سلامة
جان دارك	كلوديل	د . فؤاد زكريا
جريمة قتل فى كاتدرائية	ت . س . اليوت	الشاعر صلاح عبد الصبور
وكيل العمارة	هارولد بينتر	د . محمد قدال
مسرحيتان	هارولد بينتر	د . وداد حماد
الذى أوله عسل	شيلا ديلاتى	عبد الله فريد
متعة الأبله	روبرت شروود	أميمة ابو النصر
الشيطان والرحمن	جان بول سارتر	رمسيس يونان
ليالي الغضب	آرمان سلاكرو	د . أنيس فهمى
هملت	وليم شكسبير	د . شوقى السكرى
تاسو	جوته	د . عبد الغفار مكاوى
بجماليون	برناردشو	جرجس الرشيدى
سوء التفاهم	البير كامو	د . سامية احمد اسعد
اندروكليس والاسد	برناردشو	محمود صابر

تحت الترجمة لهذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
بلاتون كرتشيت	الكسندر كورنيشتوك	د . عوض جرجس
سبع مسرحيات	تنيسى وليامز	د . جمال الدين الرمادى
مجنونة شايو	كلوديل	دولت محمد حسن
حافى القدمين فى اثينا	ماكسويل اندرسون	سمير كرم
ثلاث مسرحيات شعرية	و . ب . ييتس	د . فهمى فوزى فرج
طائر البحر	تشيكوف	الشاعر عبد الوهاب البياتى
كل يتخبط	دوريس لسنج	سعد زهران
الرجل والمراة	مارسيل ايميه	اسماعيل المهدوى
كاليجيولا	البير كامى	على عطية رزق
القصاص	وليم شكسبير	د . زاخر غبريال
مهنة مسز وارين	برناردشو	سعد الدين توفيق
الشيطان الابيض	جون وبستر	د . محمد عواد العسيلى
اربع مسرحيات	ادوارد البى	على شلش
البورجوازيون	مكسيم جوركى	د . أبو بكر يوسف حسين
قيصر	مارسيل بانيول	فاطمة على نديب
منزل القلوب المحطمة	برناردشو	مجد الدين حفنى ناصف

اقرأ فى هذه السلسلة لهؤلاء العمالقة :

- اسخيلوس
- سوفوكليس
- يوربيديس
- ارسطوفانيس
- شكسبير
- مارلو
- موليير
- راسين
- شريدان

- ابسن
- برناردشو
- ت.س. اليوت
- تشيكوف
- لويچى برندللو
- يوچين اونيل
- وايلدر
- چان پول سارتر
- برخت

- دورنمات
- چان انوى
- آرثر ميللر
- البير كامى
- تنسى وليامز
- جون اسبورن
- براندن بيهان
- اوكيسى
- جايلز كوبر

وكثيرون غيرهم

العدد القادم : الانسان الآلى — كارل تشابيك



الدار القومية للطباعة والنشر

فى هذا العـدد :

فاوست

تدور أحداث المسرحية حول فاوست العالم ابن القرن العشرين الذى أحاط علما بكل ما انتجه العقل البشرى . ولم يجد فيه كله ما يروى غلته . فنفذ الى علوم السحر ، واستحضر رئيس الجن واتخذه خادما له . فجاب آفاق الكون دون أن يظفر بما يريد .

وتفتر علاقتهما ويذهب الشيطان من حيث أتى ، ويحبس فاوست نفسه فى داره محطم القلب حائرا فى كنه الخلق وأسرار الحياة والموت . ويمضى الزمن حثيثا ، فيجلس فاوست فى النهاية الى سكرتيرته الجميلة لوست يملك عليها مذكراته . اثناء ذلك يدس له الشيطان بين الاوراق عنوانا مثيرا ليذكره بشيطانه ، ويحس فجأة أنه فى مسيس الحاجة اليه طالما هو محترق شوقا الى المعرفة . ويوافيه الشيطان فى غمضة عين ويوقع الاثنان عقدا يتنازل فيه أحدهما للآخر عن كينونته الى حين .

وفى منزل فاوست يحاول الشيطان أن يربط بالحب الحرام بين قلب لوست الجميلة وقلب تلميذ شاب جاء لينهل من علم فاوست . ولكن هيهات فهى قد أحبت فاوست لعلمه وفكره . وهكذا تمضى المسرحية فى شاعرية وحيوية حتى ما قبل الخاتمة التى لم يشأ المؤلف أن يضعها للمسرحية ربما عن قصد .

المترجم : **عبد العاطى جلال** – سكرتير الفنون بمجلس الفنون والآداب .

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★

فى العدد القادم :

الانسان الآلى «أو» ١٠ر١٠

لم تعد اليوتوبيا العلمية مجرد حلم يراود خيال الانسان فى القرن العشرين وانما أصبح التقدم العلمى والتكنولوجى يساعد كل يوم على تحقيقها . ولا يكتفى الخيال اليوتوبى بتحقيق الفردوس الأرضى بل يتعداه الى التحكم فى نو[illegible] الذى سيعيش فيه . وفى مسرحيتنا صورة لما يمكن أن يحدث لو تم[illegible] فى تطبيق نظرياته ، فنرى فيها الانسان العالم الذى يريد أن يحاكى ال[illegible] وينجح فى تركيب انسان آلى وفى انتاجه بالجملة . وتثور هذه الآلة ال[illegible] فى النهاية على البشر وتقضى عليهم وتستولى على الحكم فى جميع أنحا[illegible] وتؤسس حكومة الانسان الآلى الوحيد الباقى على ظهر الأرض لاكتشا[illegible] لتزايدها بعد أن احترق مخطوط اختراعها الأصلى . والمسرحية فري[illegible] لأنها أولا : أول مسرحية تعالج هذا الموضوع فى الأدب الغربى وهى [illegible] كلمة Robot أو الانسان الآلى فى عديد من اللغات ، وثانيا : لأنها [illegible] اليوتوبيات العلمية الأخرى فهى لا تصور حلما يريد الكاتب أن يحقق[illegible] يريد أن يحذرنا منه .

المترجم : **دكتور طه محمد طه** – مدرس الأدب الانجليزى بآداب عين شمس .